www.ibtesamah.com/vb

جريمة في الريف

جورج سيمنون

ahmad2006771
www.ibtesamah.com/vb
حصريات مجلة الإبتسامة

روايات الهلال

روائع القصص العالمي

www.ibtesamah.com/vb

روايات الهلال

REWAYAT AL-HILAL

تصدر عن مؤسسة « دار الهلال »

رئيس التحرير : طاهر الطناحى

سكرتير التحرير
رمزى سعد

الإشراف الفنى
سميحة حسنين

العدد ١٦٣ * يولية ١٩٦٢ * صفر ١٣٨٢

No. 163 — Juillet 1962

بيانات ادارية

ثمن العدد : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان ٨٠ مليما — عن الكميات المرسلة بالطائرة : فى سوريا ولبنان ١٠٠ قرش سورى لبنانى — فى الاردن والعراق ١٠٠ فلس .

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان ٨٥ قرشا صاغا — فى سوريا ولبنان ١٠٧٥ قرشاسوريا لبنانيا — فى بلاد اتحاد البريد العربى بالبريد البحرى ١١٠ قروش صاغ و (بالطائرة) ١٥٨ قرشا صاغا — فى الامريكتين ٥ دولارات — فى سائر انحاء العالم ٥٠ شلنا

والاشتراكات تسدد لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية — وفى الخارج بتحويل مصرفى على احد بنوك القاهرة .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب — القاهرة
التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

www.ibtesamah.com/vb

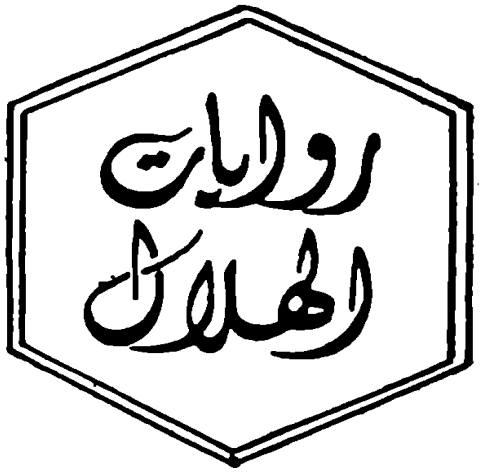

مجلة شهرية لنشر القصص العالمى

www.ibtesamah.com/vb

ahmad2006771
www.ibtesamah.com/vb
حصريات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamah.com/vb

جريمة في أريزونا

بقلم

جورج سيمنون

حقوق الطبع محفوظة لدار الهلال

www.ibtesamah.com/vb

ahmad2006771
www.ibtesamah.com/vb
حصريات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamah.com/vb

مؤلف الرواية

هوالكاتب البلجيكى المولد ، الفرنسى اللسان والقلم ، الامريكى المهجر ، العالمى الوطن « جورج سيمنون » ..

قال عنه أندريه جيد ـ وهو الاديب المدقق الثقة المتحرج ـ انه ربما كان أعظم الادباء المعاصرين الذين يكتبون باللغة الفرنسية . وقال عنه سومرست موم انه وصاحبه الانجليزى جراهام جرين، أعظم روائيين فى هذا الزمان ، من الجيل التالى لموم الشيخ ... وسماه « بلزاك هذا العصر »

وناهيك برجل يناهز الخمسين ، وله من الروايات الطوال اكثر من أربعمائة !

وناهيك بمؤلف يكتب الرواية البوليسية كأروع ما كتبها المتخصصون ، ويكتب الرواية الوجدانية الواقعية فكأنك تعيش مع أشخاصها فى حرارة وصدق ، ويكتب الرواية النفسية التحليلية فاذا بك تتغلغل الى داخل نفوس أبطاله ، وتعرفهم من سرائرهم الغامضة ، وتشغل بهم كأن العالم قد خلا الا من هؤلاء الابطال الخياليين ..

وهو الآن شغل النقاد الشاغل ، لهذا التعدد فى نواحى انتاجه تعددا يكاد يوحى بازدواج الشخصية ، فلا يتهمه أحدهم بسبب رواية بوليسية بالسوقية والاسفاف حتى يجد له رواية من الادب الرفيع الممتاز ..

انه أشبه فى انتاجه بالطبيعة : فيها الوهاد السحيقة وفيها القمم الشامخة ، وفى الحالتين تتبدى قدرة الابداع والخلق ..

www.ibtesamah.com/vb

ومن أعظم رواياته العالمية التى رشحوه من أجلهـا لنيل جائزة نوبل العالمية

* أغلال الخطيئة ، وقد ترجمناها ونشرناها فى روايات الهلال
* الثلج الاسود
* فتاة فى ماضيه
* هذه المرأة لى .. وترجمناها أيضا فى سلسلة روايات الهلال

ولا يفوتنا أن ننوه هنا بأن هذه الرواية التى ننقلها الى اللغة العربية من أعظم روائع جورج سيمنون

ahmad2006771
www.ibtesamah.com/vb
حصريات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamah.com/vb

شخصيات الرواية

ميجريه	Maigret	كبير مفتشى المباحث الجنائية ببباريس
بايك	Pyke	مفتش من سكوتلانديارد
كاراتشى	Caracci	صاحب حانة بباريس
لوقا	Luca	جاويش مساعد لميجريه
موتون	Mouton	صهر ميجريه
ليشار	Lechar	مفتش مباحث بجنوب فرنسا
مارسلان	Marcellan	بحار ولص تائب
لانجلو	Langloi	موظف بأرشيف المباحث الجنائية بباريس
جينيت	Ginette	بائعة هوى عشيقة مارسلان سابقا
بوافير	Boisvert	حكمدار بجنوب فرنسا
جبريل	Gabriel	نوتى بجنوب فرنسا
شارلو	Charlot	من أرباب السوابق ومهرب
بول	Paul	صاحب خان بالريفييرا
جوجو	Jojo	خادمة فى خان سفينة نوح
الين ويلكوكس	Ellen Wilcox	ثرية انجليزية عجوز
فيليب دى موريكور	Philippe De Moricourt	أديب فاشل وسكرتيرها
بللام	Bellam	ميجر انجليزى متقاعد
أميل	Emile	عجوز ابن صاحبة بيوت للترفيه
جاستين	Justine	أمه
جيف دى جريف	Jef de Greef	رسام هولندى شاب
آنا	Anna	شابة حسناء عشيقة دى جريف
جاميه	Jamet	عمدة الجزيرة
بنوا	Benoit	عجوز معدم متشرد

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الأول

سفينة نوح

ـ تقول انك كنت واقفا بباب مقصفك ؟

ـ نعم يا حضرة المفتش ..

ـ ثم وقفت سيارة «سبور» رمادية اللون وقفز منها رجل..

ـ نعم يا حضرة الضابط ..

ـ وكى يدخل الى مقصفك لابد انه مر بجوارك .. بل واحتك بك تقريبا أثناء مروره . وفوق باب مقصفك لافتة مضاءة بالنيون

ـ لونها قرمزى يا حضرة المفتش ..

ـ وماذا لو كان لونها قرمزيا ؟ ..

ـ هذا هو ما جعلنى لا أتبين شكل الشخص الذى دخل ..

ـ لم تعرفه بسبب لون الضوء أم بسبب رفعه للستار المخمل من فوق الباب الداخلى ثم افراغ رصاص مسدسه فى البارمان ؟

وكان هذا الشاهد يدعى « كاراتشى » أو « كاراتشينى » .. وهو قصير القامة ، عالى الكعبين، كورسيكى السحنة ، فيه بعض الشبه من مواطنه الشهير نابليون ، وفى اصبعه خاتم يزينه فص ضخم من الماس الاصفر

واستجواب هذا الشاهد ظل يدور حول نقطة واحدة تقريبا منذ الساعة الثامنة صباحا الى أن قاربت الساعة الآن الحادية عشرة ، و « ميجريه » يستعين بالصبر .. بل ان التحقيق قد بدأ فى الواقع عند منتصف الليلة السابقة منذ قبض على جميع الموجودين بالمقصف الكائن بشارع فونتين على أثر مصرع

www.ibtesamah.com/vb

البارمان ، وتولى ـ أثناء الساعات الاخيرة من الليل ـ اربعة مفتشين استجواب «كاراتشى» من غير أن يظفروا منه بطائل .. ولم يجدوا بدا من أن يعهدوا بأمره الى العبقرى العجوز «ميجريه» بمجرد حضوره ..

ومع أن شهر مايو من تلك السنة كان شديد الحرارة فى باريس الا أن المطر كان ينهمر بغزارة كما يحدث فى أوان الخريف ، واستمر سقوط المطر منذ الرابعة صباحا ، و « ميجريه » ينظر من خلال زجاج النافذة الى الماء الذى يقطر من السقوف والاشجار والابنية لامعا فى شعاع الشمس.. وهو لا يدرى كيف «يستخرج» الحقيقة من لسان « كاراتشى » ..

أما مستر « بايك » فكان ساكنا فى مقعده لا يتحرك ، وقد انزوى فى أحد الاركان وعيناه تتنقلان ببطء ما بين المفتش الكبير والرجل القصير الذى يستجوبه من غير أن يبدو على محيا ذلك المفتش الانجليزى أى أثر يدل على حقيقة ما يدور فى ذهنه من الخواطر والتعليقات ..

والتفت « ميجريه » الى « كاراتشى » وقال له :

ـ ينبغى أن تدرك يا « كاراتشى » أن سلوكك هذا واصرارك على الصمت ستدفع ثمنهما غاليا جدا ، فقد يؤدى هذا الى اغلاق ابواب مقصفك بصفة نهائية

ولم يتأثر الكورسيكى بهذا التهديد ، بل ابتسم ابتسامة تواطؤ وهو يسوى بيده أطراف شاربه الاسود ، وقال بهدوء :

ـ صحيفتى الجنائية نظيفة تماما وسلوكى لا غبار عليه .. فلا يمكن أن تتوافر أسباب كافية لسحب الترخيص ..

ـ اذن أنت بالاختصار ترفض الاجابة .. ؟

ـ أنا لا أرفض الاجابة يا حضرة المفتش ، ولكنى لا أعرف شيئا ..

فظهر الضيق على وجه « ميجريه » وهو ينهض ويفتح الباب مناديا :

ـ لوقا ! خذه اليك وتفاهم معه كما ينبغى ..

ويا للنظرة التى حملق بها مستر « بايك » نحو « ميجريه » !

www.ibtesamah.com/vb

ومستر « بايك » ربما كان ألطف رجل على وجه الارض ، ولكن هناك لحظات يشعر فيها « ميجريه » انه يكره « بايك » كرها شديدا .. مثلما يكره بالضبط صهره المسمى « موتون » ، فمرة فى كل سنة ، وفى فصل الربيع ، ينزل « موتون » من القطار فى محطة الشرق ومعه زوجته شقيقة مدام « ميجريه » ..

و « موتون » أيضا ألطف انسان على وجه الارض .. ولا يمكن أن يؤذى ذبابة ، أما زوجته ، فهى الظرف والمرح مجسمين .. ومن أول لحظة تطأ فيها قدمها مسكن « ميجريه » فى شارع ريشار وضعت مئزرا فوق ثوبها ، ونشطت للمعاونة فى أعمال البيت . ويمر أول يوم على خير حال ، ويكون اليوم الثانى أيضا شبيها باليوم الاول .. ثم يقول « موتون » :

ـ سنسافر غدا ..

وتصرخ مدام « ميجريه » محتجة :

ـ ما هذا الكلام ؟ لماذا تسافرون بهذه السرعة ؟

ـ لاننا سنضايقكم بوجودنا ..

ـ كلا وحياتك ! ..

ويصيح « ميجريه » أيضا مؤيدا زوجته :

ـ كلا وحياتك ..

وفى اليوم الثالث يتمنى « ميجريه » بينه وبين نفسه أن تهبط من السماء قضية معقدة تحول بينه وبين تناول الطعام فى بيته ، ولكن هذه القضايا اللعينة التى تكثر فى كل وقت تأبى أن تخف قضية منها لنجدته فى الفترة التى يأتى فيها صهره لزيارته ..

وابتداء من اليوم الخامس ، يبدأ « ميجريه » وزوجته فى تبادل نظرات الغيظ والعذاب .. ولكن آل « موتون » يستكملان تسعة أيام كاملة من الاقامة وهما فى غاية الظرف والدماثة والدقة وحسن الذوق ، بحيث يؤنب المرء نفسه على كراهيته لهما .. !

وهذا هو الموقف بالضبط فيما يختص بمستر « بايك » .. مع أنه لم يمض سوى ثلاثة أيام على مصاحبته للمفتش « ميجريه » أينما ذهب ، وأساس المسألة أن مدير الشرطة فى باريس كان قد قام منذ أسابيع قلائل بزيارة رسمية لعمدة لندن ، وقام العمدة

www.ibtesamah.com/vb

بالطواف مع مدير الشرطة هنا وهناك .. وزار معـــه ادارة سكوتلانديارد الشهيرة ، وكم كانت دهشة مدير الشرطة الفرنسى عظيمة ومبهجة لنفسه حين علم أن كبار مفتشى الشرطة الانجليز يعرفون المفتش « ميجريه » بالاسم ويبدون اهتماما عظيمـــا بأساليبه .. وقال مدير الشرطة لهم :

ـ لماذا لا تأتون يوما الى باريس لتروا بأنفسكم طريقته فى العمل ؟

وأخذ الانجليز الرجل الطيب بكلمته .. كما أخذ آل «موتون» « ميجريه » بكلمته منذ سنوات طويلة حين قال على ســـبيل المجاملة ذات يوم :

ـ لماذا لا تأتيان لتمضية أسبوع فى باريس أيام الربيع ؟ لدينا حجرة نوم للضيوف ، وهى دائما خالية لا يستخدمها أحد ..

وسجلت الدعوة وأصبحت دينا مستحق الاداء فى كل عام !..

وهكذا أيضا أرسلت ادارة سكوتلانديارد المفتش « بايك » استجابة لدعوة مدير الشرطة الفرنسى ، وها هو « بايك » منذ ثلاثة أيام يلازم « ميجريه » ملازمة الظل فى صمت ولطف وأدب ، ويجتهد دائما ألا يشعره بوجوده ، ولكن هذا الادب الشديد كان يزيد من احساس « ميجريه » بوجود « بايك » !

ومع أن المفتش « بايك » فى الخامسة والثلاثين ، أو لعله ناهز الاربعين ، الا ان منظره لا يدل على حقيقة سنه .. فهو أقرب الى شكل الطلبة من أهل الجد فى الجامعات ، وهو يقينا ذو ذكاء حاد ينظر ويسمع ويفكر .. وهو فى تفكيره شديد الاستغراق حتى لتكاد تسمع حركات مخه وهو يفكر ! وهذه صفة مرهقة للاعصاب حين يشاهدها الانسان باستمرار ليل نهار .. فقد خيل للمسكين « ميجريه » أنه موضوع تحت الاختبار ، أو صادر ضده حكم بالمراقبة .. فكل حركاته وسكناته وكلماته تسجل تسجيلا دقيقا واعيا داخل ذهن مستر « بايك » الذى لا تعبر ملامح وجهه عن شىء ..

وفى هذه الايام الثلاثة ، لم يقع شىء طريف يسترعى الاهتمام.. وانما هى قضايا من النوع الروتينى ، واستجوابات لا طرافة

www.ibtesamah.com/vb

فيها ، ولا تتيح الفرصة للذكاء أو التفنن ، على غرار هـــــذا التحقيق الممل مع « كاراتشى » ..

وبعد انقضاء هذه المدة ، كان كل منهما قد بدأ يفهم صـاحبه من غير حاجة الى تبادل الكلمات .. فمثـلا بمجرد أن سـحب « كاراتشى » صاحب المقصف العنيـد الى غرفة العرفاء ليقوم العريف لوقا بالتفـاهم معه ، أطلت من عينى المفتش الانجليزى نظرة لم يكن هناك محل للتغاضى عن معناها :

ـ هل سيستعملون معه العنف ؟

ـ فى الغالب .. ولم لا ؟ .. انك لا ترتدى قفازا من القطيفة حينما تنوى أن تتعامل مع أناس من طراز « كاراتشى » ، فليس للعنف أهمية فى قضية كهذه لا طرافة فيها ، والبارمان الذى لقى حتفه كان فى الغالب عضوا فى عصابة معادية .. وبين حين وآخر تقوم هذه العناصر المجرمة بتصفية حساباتها فيما بينها ، فيسقط واحد من هذا الفريق وواحد من ذاك الفريق ، والامن هو الرابح على كل حال فى خاتمة المطاف ، لان القتلى فى هذه الظروف من عناصر الشر لا من الملائكة الاطهار ..

وسواء ضعف « كاراتشى » وانحلت عقدةلسانه أو ثبت على كتمانه ، فلا بد ان عاجلا أو آجلا من وصول الحقيقة الى رجـال الشرطة عن طريق الجواسيس والمبلغين ، وبهذه المناسبة خطر له أن يسأل « بايك » :

ـ أليس لديكم فى انجلترا مبلغون ؟ ..

وقبل أن يتسع الوقت أمام « بايك » كى يجيب عن هـــذا السؤال رن جرس التليفون ، وتناول « ميجريه » المسماع :

ـ ألو .. نعم .. أنا « ميجريه » .. من ؟ .. « ليشاه » ؟ كلا .. لا أعرفه .. من أين تقول انه اتصل بك .. «بوركيرول» ؟ دعه يتصل بى !

وكانت عينا المفتش الانجليزى مثبتتين على « ميجريه » وهو يتكلم فى التليفون وكأنهما عين الرقيب الحسيب ..

ـ ألو .. لا أسمعك جيدا .. « ليشاه » ؟. نعم . سمعت هذا .. « بوركيرول » .. سمعت هذا أيضا..

www.ibtesamah.com/vb

وكان المسماع على أذن « ميجريه » وهو ينظر الى المطر المنهمر من خلال النافذة ، ويفكر فى أن الجو لابد أن يكون صحوا جدا فى بوركيرول.. وهىجزيرة صغيرة فى البحر الابيض المتوسط بالقرب من طولون ..

انه لم يذهب الى هذه الجزيرة اطلاقا فى حياته .. ولكنهم كثيرا ما حدثوه عنها . ومن يقضون فيها أياما يعودون منها ، وقد اكتسبت بشرتهم سمرة قاتمة مثل سمرة بدو الصحراء ، وكانت هذه فى الواقع أول مرة يتصل فيها انسان بميجريه تليفونيا من جزيرة وسط البحر ، ولهذا جال بخاطره أن أسلاك التليفون لابد أن تكون ممتدة فى قاع البحر .. وهذا هو السبب فى صعوبة التخاطب ..

ـ نعم .. ماذا ؟.. شخص قصير أشقر الشعر فى ليسون ؟ آه .. نعم .. تذكرت ..

وكان « ميجريه » قد التقى بمفتش يدعى « ليشار » فى احدى نوبات عمله بالاقاليم عندما قضى بضعة شهور فى ليسون باقليم الفانديه

ـ أنت الآن ملحق بالكتيبة الطائرة فى دراجينان .. عظيم ، وانت تكلمنى الآن من بوركيرول ..

وحدثت قرقعة خفيفة فى الخط .. وبين حين وآخر كان يسمع صوت فتيات التليفون يتنادين فيما بينهن من مدينة الى أخرى

ـ الو ! باريس .. باريس

ـ الو .. طولون .. طولون .. هل أنت طولون ياعزيزتى ؟

ترى هل التليفون فى الجانب الآخر من المانش أصلح حالا منه فى فرنسا ؟ ان مستر « بايك » يصغى ساكن الاسارير ، ويرقب « ميجريه » وهو يعبث بقلم رصاص بين أنامله انقاذا للمظاهر ..

ـ الو !.. هل أعرف « مارسلان » ؟. ومن هو «مارسلان» ؟ ماذا ؟ .. صياد سمك ؟ .. حاول أن توضح كلامك يا « ليشار » .. أنا لا أفهم ماذا تريد أن تقول .. ولا ما هو الموضوع .. شخص يعيش فى زورق .. وهو كذلك .. استمر..

www.ibtesamah.com/vb

يزعم انه صديقى .. ماذا ؟

كان يزعم ذلك ؟ .. ومات ؟ .. قتل فى الليلة الماضية ؟ .. ولكن هذا أمر لا علاقة له بى يا عزيزى « ليشار » .. فهذه ليست منطقتى .. تقول انه ظل يتكلم عنى طول السهرة ؟ .. ولهذا قتل ؟ ..

والقى « ميجريه » قلم الرصاص من يده ، وحاول أن يشعل غليونه بيد واحدة ، لان يده الاخرى ممسكة بالسماعة ..

ـ انى آخذ مذكرة ، نعم .. ماذا تقول ؟ .. انه ليس مارسلان هذه المرة .. آه .. باء باريس .. الف أصفهان .. الف .. كاف كازينو .. واو وردة .. آه ! .. باكو .. هل أرسلت بصمات الاصابع ؟ .. خطاب منى انا ؟ .. هل انت متأكد ؟ .. خطاب على ورق مطبوع عليه عنوان مقهى تيرن ؟.. ربما .. وماذا قلت فى ذلك الخطاب ؟ ..

آه لو لم يكن مستر « بايك » جالسا هناك يحدق فيه بتلك الصورة الثابتة المقلقة !

ـ قل .. فانى سأكتب ما تمليه .. نعم.. «جينيت ستسافر غدا الى المصح ، وهى ترسل اليك تحيتها وحبها ، المخلص .. » وهل التوقيع « ميجريه » ؟ .. كلا .. كلا .. ليس من الضرورى أن يكون هناك تزوير .. يخيل الى أن للمسألة نصيبا من الصحة سأذهب والقى نظرة على الملفات فى الارشيف .. أتقول متى أحضر ؟.. انت تعلم جيدا يا عزيزى « ليشار » ان هذه القضية ليست فى دائرة اختصاصى ..

وهم « ميجريه » أن يضع المسماع .. ولكنه فى آخر لحظة لم يستطيع أن يمنع نفسه من القاء سؤال كان يخشى أن يصدم مستر « بايك » :

ـ اسمع يا « ليشار » .. هل الشمس مشرقة والجو صحو هناك ؟ .. رياح المسترال ؟ .. ولكن الجو صحو .. أليس كذلك ؟ حسنا .. اذا توصلت الى أى معلومات سأطلبك .. نعم أعدك بهذا ..

ولئن كان « بايك » قليل الكلام قليل الاسئلة ، الا أن له نظرة

www.ibtesamah.com/vb

تجبرك على الكلام .. ولهذا وجد « ميجريه » نفسه يقول له :

ـ هل تعرف جزيرة بوركيرول ؟

وتشاغل « ميجريه » لحظة باعادة اشعال غليونه الشهير الذى لا يفارق يده أو فمه ، ثم استطرد :

ـ انها جزيرة مشهورة جدا بجمالها .. ويقول الذين زاروها انها فى جمال جزيرة كابرى والجزر اليونانية . وفى الليلة الماضية قتل هناك رجل .. وهذه المنطقة ليست من اختصاصى . ولكنهم عثروا فى زورق القتيل على خطاب منى ..

ـ وهل كان الخطاب حقيقة صادرا منك ؟

ـ من الجائز أن يكون صادرا منى فاسم « جينيت » يخيل الى انه ليس غريبا تماما عن ذاكرتى .. هل تنوى أن تصعد معى ؟

وكان مستر « بايك » يعرف جميع أقسام حكمدارية الشرطة بعد أن طاف بها فى اول يوم . وصعد المفتشان الى الطابق الأعلى حيث أرشيف الملفات .. فكل من كانت له ذات يوم علاقة بالشرطة ، فله ملف فى ذلك الارشيف . وأحس « ميجريه » بشىء من شعور النقص أمام الزميل الانجليزى، عندما دخلا على ذلك الموظف الفرنسى العجوز ووجداه يمضغ بعض الحلوى فى تكاسل .. وقال «ميجريه»:

ـ قل لى يا « لانجلو » .. كيف حال زوجتك الان ؟

ـ ليست زوجتى هى المريضة يامسيو « ميجريه » .. بل حماتى ..

ـ آه .. آسف جدا .. هل أجريت لحماتك تلك الجراحة ؟

ـ وخرجت من المستشفى أمس ..

ـ عظيم جدا .. والآن انظر فى الملفات ، وابحث لى عن شخص اسمه « باكو » .. « مارسيل باكو » ..

ـ مارسيل ؟ ..

ـ مارسيل أو مارسلان .. وأعطنى الملف ..

ونهض الموظف ، وصعد سلما حديديا .. وبعد قليل هبط وفى يده ملف . وفى الملف بصمات أصابع شخص وصورته الفوتوغرافية من الأمام ، ومن الجانب ، وبدون رتوش ..

وتصفح « ميجريه » الملف :

www.ibtesamah.com/vb

ـ « باكو » .. مارسيل جوزيف اتين .. مولود فى مدينة الهافر .. المهنة ملاح ..

وقطب « ميجريه » حاجبيه ، وحاول أن يتذكر وقد ثبت نظراته على الصورة ، وهى تمثل الرجل عندما كان فى الخامسة والثلاثين .. نحيلا عليل السحنة ، وتحت عينه اليمنى أثر كدمة سوداء مما يدل على أن الاستجواب فى ذلك الحين كان حاميا جدا قبيل تسليمه لصور ادارة تحقيق الشخصية ..

وكانت فى الملف أيضا قائمة طويلة تتضمنها صحيفة أحوال«باكو» الجنائية ، تبدأ بجناية سطو وسرقة فى مدينة الهافر ، وعمره يومئذ سبعة عشرة عاما .. ثم سطو وسرقة أيضا فى العام التالى فى مدينة بوردو بالاضافة الى السكر والعربدة فى الطريق ومقاومة سلطات الامن عند القبض عليه .. ثم سطو وسرقة من بيت سيىء السمعة فى ميناء مرسيليا ..

وكان « ميجريه » يمسك الملف بحيث يستطيع زميله الانجليزى أن يقرأ ما فيه أثناء تصفحه . وكان مستر « بايك » لا يظهر الدهشة وكأنه يقول :

ـ ونحن أيضا لدينا فى الجانب الاخر من المانش أشخاص على هذه الشاكلة .. فليس فى هذا جديد ..

ـ والجريمة الرابعة التعطل والحياة من مصادر غير شريفة وفرض اتاوات على بائعات الهوى ..

فهل ترى لديهم أيضا فى انجلترا مثل هذا ؟ .. معنى هذا الكلام أن « مارسيل باكو » كان قوادا .. والملف يقول أيضا انه فى سن العشرين أرسل لاداء الخدمة العسكرية كالمعتاد . وقضى تلك الخدمة فى الفيالق الافريقية بالجزائر ..

ـ وبعد التسريح من الجيش قام بالسطو والسرقة فى نانت ..

ـ ثم سطو وسرقة فى طولون ..

ـ وفى باريس ارتكب حوادث سرقة بالاتفاق مع بائعات الهوى بحيث ينشل حافظات نقود الرجال من ثيابهم المخلوعة . وضبط فى ثلاث حوادث من هذا النوع .. وفى كل حادثة منها كانت شريكته بائعة الهوى هى المدعوة « جينيت » .. وبعد ذلك هناك جريمة

www.ibtesamah.com/vb

الاعتداء بمدية سدد بها طعنة الى وجه ثرى ريفى تنبه للسرقة ، وأثار ضجة ، وحاول أن يضرب « جينيت » ..

وهز المفتش « بايك » رأسه ، وقال بوقار :

ـ هذا فيما أعتقد أحد الذين تسمونهم فى فرنسا الأوباش ؟

وكانت لكنته الانجليزية ـ وهو ينطق اللغة الفرنسية ـ توحى بالتهكم من غير أن يرمى « بايك » فى الحقيقة الى شىء من ذلك ..

ـ بالضبط .. وأنا أتذكر الان اننى كتبت اليه خطابا ذات مرة ، ولا أدرى كيف تعاملون هذا الصنف من الاشخاص فى بلادكم ..

ـ معاملة قانونية سليمة للغاية ..

ـ لا شك عندى فى هذا . ولكننا هنا قد نلجأ فى بعض الاحيان الى استعمال الخشونة معهم . ولكن العجيب فى الامر حقا أنهم قلما يحقدون علينا لذلك السبب ، لأنهم يعلمون أننا مدفوعون بالرغبة فى أداء واجبنا ، ومع تكرار التحقيقات تتوطد المعرفة فيما بيننا ..

وهز المفتش « بايك » رأسه بفطنة ، وقال :

ـ آه .. لعل هذا هو السبب الذى دعا ذلك الشخص الى القول بأنه صديقك ؟

ـ وأنا واثق أنه كان مخلصا فى هذا الزعم ، وأنه يضمر لى المودة .. وأنا أتذكر الآن على الخصوص تلك الفتاة « جينيت » وأتذكر بوضوح ورقة الخطاب ذات العنوان المطبوع . واذا سنحت لى الفرصة ، فسوف أريك مقهى تيرن المذكور .. انه مقهى مريح للغاية ، ويقدم وجبات خفيفة ممتازة .. وبعد ظهر كل يوم ، وفى الأصيل والمساء ، تجد هناك بضع نساء جالسات فى انتظار ما يأتى به لهن الحظ من الرزق . وهناك كانت « جينيت » تمارس عملها متخذة ذلك المقهى مركزا مختارا . وهى فتاة من اقليم بريتانى الفرنسى ، ومسقط رأسها قرية قرب سان مالو . وفى بداية مقدمها الى باريس ، كانت خادما فى بيت جزار صغير .. ثم تعرفت بـ « باكو » وأحبته حب العبادة ..

ـ وهو ؟ ..

ـ وهو أيضا .. يكفى أن يأتى ذكرها على لسانه حتى تترقرق

www.ibtesamah.com/vb

الدموع فى عينيه .. هل يدهشك هذا ؟

ولكن ما من شىء كان يدهش مستر « بايك » وسحنته الجامدة لا توحى بأى تأثر أو انفعال ..

ـ وبمرور الوقت شعرت بالاهتمام بأمرهما .. وكانت الفتاة مصابة بالسل . ولم تفكر فى العلاج حتى لا تبتعد عن صاحبها « باكو » . فلما تمكنا ذات مرة من زجه فى السجن ، ظللت بها حتى أقنعتها بعرض نفسها على أخصائى فى الامراض الصدرية من أصدقائى ، وأوصيته بها خيرا .. فأرسلها الى مصح للأمراض الصدرية فى اقليم سافوا .. وهذه كل صلتى بهما

ـ وهذا ما كتبت به الى « باكو » ؟

ـ نعم .. وكان « باكو » نزيلا فى سجن من سجون الضواحى البعيدة ، ولم يكن عندى فى ذلك الوقت متسع للذهاب اليه ..

وأعاد « ميجريه » الملف الى الموظف المختص ، ثم غادر قسم المحفوظات وهو يقول لزميله الانجليزى :

ـ والآن ما رأيك فى أن نذهب لنتغدى ؟

ـ هل تتوقع أن تسافر الى بوركيرول ؟

ـ ليس لى أن أبت فى هذه المسألة ، فأنا من حيث المبدأ لا أعمل الا فى حدود باريس ومحافظة السين ..

وصحبه « ميجريه » الى سوق باريس الكبير حيث قدم اليه أطعمة باريسية محلية لا يكاد يعرف الانجليز عنها شيئا ، وكان « ميجريه » طوال الوقت يتساءل بينه وبين نفسه : ترى ماذا يظن به ضابط سكوتلانديارد ؟ لقد أرسلوه ليدرس طريقة « ميجريه » فى التحقيق الجنائى . و « ميجريه » خير من يعلم أنه ليست له طريقة معينة .. فها هو ذا يجد أمامه بطل الاسطورة رجلا عريض المنكبين قبيح الشكل غير أنيق الثياب .. والى متى ينوى هذا الانجليزى أن يلازمه ملازمة الظل ؟ ..

وبعد الانتهاء من تناول الطعام قال « ميجريه » :

ـ هذا هو ما نسميه باليوم الراكد .. ليس فيه عمل ذو بال

ـ وهكذا أيضا نسميه عندنا فى سكوتلانديارد ..

وفى الساعة الثانية بعد الظهر ، عاد الاثنان الى مكتب الشرطة

www.ibtesamah.com/vb

الجنائية فى شارع الصاغة . وكان « كاراتشى » جالسا فى حجرة الانتظار ذات الجدران الزجاجية .. وهذا معناه أن الجاويش لوقا وزملاءه لم يظفروا منه بطائل.. ولهذا يردونه الى المفتش«ميجريه» ليعيد ســـؤاله

وسأل « بايك » :

ــ هل تناول الطعام ؟ ..

فهز « ميجريه » كتفيه وقال :

ــ لا أدرى .. لعله أكل شيئا . فهم أحيانا يشترون شطائر على حسابهم الخاص ..

ــ وفيما عدا هذا ؟ ..

ــ يتركونهم طبعا .. فالجوع قد يساعد ذاكرتهم على التنبه

وفى هذه اللحظة جاء جاويش ، وقال لـ « ميجريه » :

ــ السيد المدير يريد أن يراك يا سيادة المفتش ..

ــ أتأذن لى يا مستر « بايك » ؟ ..

وفى هذه المرة ليس فى استطاعة الانجليزى أن يتعقبه ويدخل معه مكتب المدير ..

وبادره المدير بقوله :

ــ تلقيت الآن حديثا تليفونيا من دراجنيان ..

ــ عندى علم بهذا الموضوع ..

ــ لا بد أن « ليشار » اتصل بك .. هل لديك عمل كثير فى الوقت الحاضر ؟

ــ كلا .. فيما عدا ضيفى الانجليزى ..

ــ هل تتذكر ذلك المدعو « باكو » ؟

ــ تذكرته عندما اطلعت على ملفه ..

ــ ألا تجد هذه المسألة غريبة بعض الشىء ؟ ..

ــ كل ما أعلمه هو ما أخبرنى به « ليشار » تليفونيا .. ولكنى لم أفهم منه شيئا كثيرا ..

ــ ان الحكمدار كلمنى من هناك باســهاب .. وألح فى ذهابك شخصيا ، ففى رأيه أن « باكو » لقى حتفه بسببك !

ــ بسببى أنا ؟! ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ انه لا يجد تفسيرا آخر للجريمة .. فمنـذ سنوات طويلة والقتيل « باكو » يعيش فى جزيرة بوركيرول فى زورقه الخاص ، وقد أصبح شخصية محبوبة هناك . وفهمت انه كان يعيش عيشة افاق متشرد متسول أكثر من اعتماده على صيد السمك . ويقضى طول فصل الشتاء من غير أن يقوم بأى عمل .. أما فى فصل الصيف فيحمل فى زورقه السائحين والمصيفين لصيد السمك فيما حول الجزر الصغيرة المنتشرة هناك . وليس هناك شخص له أقل مصلحة فى موته .. وليس من المعروف أن له أعداء . ولم يسرق منه بعد مقتله شىء ، لسبب وجيه جدا هو أنه لم يكن يملك شيئا يمكن أن يسرق !

ـ وكيف قتل ؟ ..

ـ هذا بالضبط هو ما يحير حكمدار الاقليم ..

ويرجع المدير الى ملاحظات قليلة كان قد دونها أمامه على عجل أثناء حديثه الطويل مع الحكمدار .. ثم استطرد :

ـ أنا لا أعرف المنطقة شخصيا ، ولهذا ليس من السهل أن نقدم لك صورة دقيقة .. وعلى كل حال ففى مساء أول أمس ..

وقاطعه « ميجريه » بدهشة قائلا :

ـ أول أمس ؟ أعتقد انه قيل لى ان الجريمة وقعت امس ..

ـ اسمع أولا .. أول أمس كان عدد من الناس متجمعين حول « سفينة نوح »

ـ سفينة نوح ؟!..

ـ هذا فى الغالب اسم حانة أو مقهى فى ذلك المكان ، والظاهر انه فى هذا الأوان من العام يكون عدد السكان قليلا جدا ، بحيث يعرف كل واحد منهم الآخرين . وكان مارسلان باكو فى سفينة نوح أول أمس كالمعتاد .. ودار حـــديث عام متشعب ، ولسبب ما ذكر مارسلان اسمك ..

ـ ولكن لماذا ؟ ..

ـ ليست عندى أدنى فكرة عن السبب بالضبط .. ولكن الناس يتكلمون عادة بغير تحفظ عن الشخصيات المشهورة ، وخصوصا وهم يحتسون الخمر . المهم أن مارسلان زعم للحاضرين أنه صديقك .

www.ibtesamah.com/vb

ولعل بعضهم أعربوا عن ارتيابهم فى مطابقة كفاءتك الحقيقية لشهرتك المستفيضة . والمهم على كل حال أن مارسلان دافع عنك بحماسة خارقة للعادة ..

ـ وهل كان ثملا ؟ ..

ـ قيل لى انه كان يشرب كثيرا .. وقيل لى أيضا أن رياح « المسترال » تهب بكل عنفوانها على تلك المنطقة فى هذه الايام . ولهذا لم يتوجه مارسلان فى نهاية السهرة لينام فى زورقه كما هى عادته ، بل ذهب الى كوخ مهجور بقرب المرفأ تعود الصيادون أن ينشروا حوله شباكهم لتجف . ولما عثروا بجثته فى الصباح اتضح أنه تلقى فى رأسه عدة طلقات من مسافة قريبة جدا ، كما تلقى طلقة فى كتفه .. مما يدل على أن القاتل أفرغ شحنة مسدسه كلها فيه .. ولم يكفه هذا ، فضرب وجهه بآلة ثقيلة وبوحشية فائقة .. !

وشرد بصر « ميجريه » من خلال النافذة حيث كان المطر ينهمر بلا انقطاع ، ثم حلقت خواطره الى صحو الريفييرا وسمائها الصافية واستطرد مدير الشرطة :

ـ وحكمدار الاقليم هناك اسمه « بوافير » . وهو شخص لطيف أعرفه منذ سنوات طويلة ، وأعلم أنه لا ينفعل بسرعة . وقد ذهب بنفسه الى مسرح الجريمة ، ولكنه سيعود الى مقر عمله هذا المساء . وهو متفق مع « ليشار » فى أن الحديث عنك كان هو السبب المباشر فى الجريمة .. بل فهمت منه أن الرصاص الذى أطلق على مارسلان كان المقصود به فى الحقيقة هو أنت فى شخص مارسلان .. !

ـ ولكن لماذا ؟ ..

ـ يبدو أن هناك شخصا يضمر لك من الحقد الأعمى ما يحمله على انتزاع روح أى انسان يزعم أنه صديقك ويدافع عنك .. !

ـ هل هناك أشخاص بهذا الوصف فى بوركيرول ؟

ـ هذا هو الامر الذى حير عقل الحكمدار « بوافير » . ففى جزيرة صغيرة مثل تلك الجزيرة لا يمكن أن ينزل بها أو يرحل عنها أحد من غير أن يكون معروفا معرفة تامة . وليس بين المقيمين هناك الآن أى شخص من المشتبه فى أمرهم .. اللهم اذا بدانا نشتبه فى الناس على غير أساس ، فما رايك انت ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ رأيى أن مستر « بايك » سيرحب كثيرا برحلةالى الريفييرا !
ـ ومتى تنوى أن تسافر ؟ ..
ـ سأستقل قطار الليل ..
ـ مع مستر « بايك » ؟ ..
ـ وهل من ذلك مفر ؟ ..

***

وفى الوقت المحدد كان الاثنان فى محطة ليون بباريس .. ورأى « ميجريه » من الواجب أن يكرم ضيفه ويحفظ كرامة الحكومة الفرنسية ، فحجز مكانين فى عربة النوم الفاخرة ..

وفى دهليز القطار الفخم شعر « ميجريه » بالوحشة والعزلة وسط هذه الثياب الانيقة واللآلىء والعطور والازهار . وحتى الحقائب التى يحملها المسافرون كانت من نوع غالى الثمن كأنها صناديق التحف . وقال « ميجريه » لزميله الانجليزى فى شبه اعتذار :

ـ هذا هو السهم الازرق .. أفخم قطارات أوربا ..

وفى القمرة الفاخرة شعر « ميجريه » بالحرج لاضطراره لخلع ثيابه أمام زميله الغريب . ولكن الشاب الانجليزى الذى نشأ فى ملاعب الرياضة وميادينها كان على سجيته تماما ، وهو يخلع ثيابه ويرتدى منامة ورداء حريريا عقده وهو يقول بحماسة :

ـ ها نحن أخيرا فى طريقنا الى قضية طريفة ..
ـ أرجو هذا يامستر « بايك » ..
ـ هلّ أحضرت معك صورة أو نسخة من ملف باكو يا مسيو « ميجريه » ؟
ـ كلا ..
ـ وارتفع حاجبا « بايك » قليلا وهو يقول :
ـ حقا ؟ ..

واحمر وجه « ميجريه » وهو يقول :

ـ أعترف أننى لم أفكر فى ذلك ..
ـ وهل اهتممت بتسقط المعلومات عن تلك المرأة « جينيت » ؟
.. كلا ..

www.ibtesamah.com/vb

وخيل لـ « ميجريه » أن نظرات « بايك » كانت تنم عن التأنيب لهذا الاهمال الشـــديد .. ولكنه لم يقل شـــيئا .. بل سأل « ميجريه » :

ـ وهل أحضرت معك أمرا بالقبض « على بياض » ؟

ـ ولا هذا أيضا.. كل ما أحضرته معى اذن بالتحقيق وتوجيه الاستجواب الى كل من أرى من مصلحة القضية توجيه الاسئلة اليه ..

ـ وهل تعرف بوركيرول ؟ ..

ـ بل لم تطأ قدمى تلك الجزيرة من قبل .. ولا أكاد أعرف شيئا عن تلك المنطقة . وكل ما هناك اننى كلفت باستجلاء غوامض قضية ذات مرة فى الريفييرا ، فى منطقتى انتيب وكان . وكل ما أذكره أن الحرارة كانت شديدة بحيث كنت أجد صعوبة فى مغالبة النعاس !

وبدت رنة خفيفة من الدهشة فى صوت « بايك » وهو يسأل :

ـ ألا تحب منطقة البحر الابيض المتوسط ؟

ـ انا فى العادة أكره الأماكن التى أفقد فيها رغبتى فى العمل ..

ـ وهل هذا لأنك تحب العمل ؟ ..

ـ لا أدرى ..

وكانت هذه هى الحقيقة .. فهو يستاء ويسخط كلمـــا ندب لتحقيق قضية غريبة تقطع عليه روتين حياته اليومى . ولكنه فى الوقت نفسه اذا استمر فى روتينه اليومى بضعة أيام متوالية شعر بالقلق والضيق لعدم تكليفه بقضية تستنفد طاقته وتستثير ذهنه

ـ أتنام نوما طيبا فى القطارات يامسيو « ميجريه » ؟

ـ أنا أنام نوما عميقا فى كل مكان ..

ـ ألا يساعدك القطار على التفكير ؟

ـ قلما افكر يامستر « بايك » !..

ـ هل أفهم من هذا انك تضع فى رأسك خطة معينة لمبـــاشرة التحقيق ؟

ـ ليست لدى اى فكرة عن خطة للتحقيق ..

ـ شكرا لك يا مسيو « ميجريه » ..

وخيل لـ « ميجريه » من لهجة « بايك » أنه سجل بدقة هذه

www.ibtesamah.com/vb

المناقشة الطريفة فى ذهنه ليضمنها تقريره الى رؤسائه حين يعود الى سكوتلانديارد أو ليجمع زملاءه حوله ويقف أمام سبورة ليلقى عليهم محاضرة عنوانها : « قضية أشرف على جلاء غوامضها المفتش « ميجريه » .. »

وابتسم « ميجريه » فى سخرية ، وهو يدخن غليـــونه ، وهو يتصور خيبة أمل « بايك » لو أن القطار وصل بهما الى نهـــاية المرحلة ليجدا « ليشار » يندفع مهللا نحو عربة النوم ليقول لهما :

ــ انتهى كل شىء ! وقبضنا على السكير الذى ارتكب الجريمة . وقد اعترف بكل شىء !

وقطع الصمت صوت « بايك » وهو يقول :

ــ ما رأيك فى جرعة من الويسكى قبل النوم ؟

وقدم اليه زجاجة ويسكى صغيرة من الفضة يستعمل ســدادها كأسا .. وتناول « ميجريه » الزجاجة الانيقة وشرب كأسين. ولم يستسغ « ميجريه » طعم الويسكى . ولكنه شرب ، تحدوه الرغبة فى انزال العقاب بنفسه . وخطر له أن « بايك » ربمــا كان أيضــا لم يستسغ النبيذ الفرنسى الذى ظل يقدمه له ثلاثة أيام متوالية ..

واستغرق « ميجريه » فى النوم .. وكان لديه احساس بأنه يغط فى نومه غطيطا مرتفعا . ولما استيقظ شاهد أشجار الزيتون على ضفاف نهر الرون فعلم أن القطار تجاوز أفينيون ..

كانت الشمس مشرقة .. والضباب الخفيف يبدو ذهبى اللون فوق شاطىء النهر . وألقى نظرة على رفيقه الانجليزى ، فوجده قد فرغ من حلاقة لحيته وارتدى ثيابه باتقان تام وعناية كاملة من الرأس الى القدم ، ووقف فى الدهليز ينظر من النافذة وقد الصق وجهه بزجاجها .. !

ولما دخل « ميجريه » حجرة الفسيل الملحقة بقمرة النوم وجدها نظيفة تماما كأنها لم تستعمل ، ووجد فيها رائحة خفيفة من عطر اللافاندر ..

وشرع « ميجريه » يفتش وهو يزمجر عن موسى الحـــلاقة فى حقيبته السيئة الترتيب ، وقد داخله الخجل من سوء نظامه ومظهره أمام هذا الغريب ..

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الثانى

نحو الجنوب

وصل القطار الى محطة هاير ، فاذا بأشجار النخيل المغروسة فيما حول المحطة ساكنة لا تتحرك سعفاتها الخضراء تحت شمس اشبه فى حدتها بشمس الصحراء . ومن المحتمل أن المدينة شهدت سوقا هاما عقد بها هذا الصباح لمناسبة عيد محلى أو مولد . . فهناك عربات وسيارات نقل كبيرة تحمل « أهرامات » متحركة من الخضر والفاكهة والازهار !

وأحس مستر « بايك » بمثل ما أحس به « ميجريه » من تسارع خفيف فى انفاسه ، فهذا عالم جديد يدخل اليه . . عالم من الاشعة والصفاء والدفء ليس من اللائق أن يرتدى فيه الانسان الملابس القاتمة التى كانت متناسبة بالامس تمام التناسب مع المطر المنهمر فى شوارع باريس . .

وكان خجل « ميجريه » من ثيابه القاتمة واضحا ، وقد وقف أمامه المفتش « ليشار » فى بدلة بيضاء ناصعة خفيفة وقميص مفتوح ، وقداسمر جبينه من التعرض للشمس فى هذين اليومين. ولم يعرفه « ميجريه » على الفور ، لانه يتذكر الاسم أكثر مما يتذكر الوجه . ولا سيما أن « ليشار » كان يشق طريقه بين الحمالين الذين تزدحم بهم المحطة ، فيظنه من لايعرفه شخصا من أبناء تلك المنطقة بقامته القصيرة وجسمه الناحل ورأسه العارى . . وفوجىء به يقول :

– من هنا ياسيدى الكبير ! . .

www.ibtesamah.com/vb

و « الكبير » هـذه اختزال لكلمة كبير المفتشين ، وهى الصفة الرسمية « لميجريه » .. وهو اختصار استاء له جدا ، لما فيه من رفع التكليف .. وهو لا يدرى ماذا سيكون رأى « بايك » بصدده . وهل يسجله فى قائمة المحاسن أو قائمة المساوىء ..!

وقدم « ميجريه » صديقه الانجليزى قائلا :

ـ انت تعرف يامستـــر « بايك » الشىء الكثـــير عن المفتش « ليشار » ..

ثم التفت الى « ليشار » وقال له :

ـ اسمح لى أن اقدم اليك زميلا من انجلترا هو مستر « بايك » المفتش فى سكوتلانديارد ..

فقال « ليشار » بسذاجته الصريحة :

ـ وهل هم أيضا مشتركون فى التحقيق ؟

ويظهر أن قضية مقتل « باكو » كانت قد استولت على مشاعر الاخ « ليشار » استيلاء تاما بحيث لم يكن موضع الدهشة ـ فى نظره ـ أن تفدو مشكلة دولية !

وقال « ميجريه » برزانة مقصودة :

ـ مستر « بايك » موجود الان بفرنسا فى دورة دراسية ..

وأثناء مسيرهم مخترقين الزحام ، كان « ميجريه » يعجب أشد العجب من الطريقة الغريبة التى يمشى بها « ليشار » وهو يلوى عنقه بحركات عنيفة ويقول :

ـ يجب أن نسرع باختراق هـــذا الزحام .. وهناك سيـــارة أحضرتها عند مدخل المحطة لتكون تحت تصرفنا ..

والسيارة من ذلك النوع الصغـــير الذى تستخـدمه الدوائر الحكومية أحيانا . وبمجرد استقرارهم بداخلهـــا ، تنهد المفتش « ليشار » بارتياح وقال :

ـ لابد من الاحتياط .. فالجميع يعلمون أنك كنت المقصـــود بالجريمة

وعندئذ أدرك « ميجريه » أن « ليشـــار » كان يمشى فى الزحام بهذه الطريقة ويتلفت بهذا الشكل المفضوح مبالغة منه فى حمايته !

www.ibtesamah.com/vb

وقال « ليشار » بعد ذلك :

ـ هل آخذكما مباشرة الى الجزيرة ؟ لا أظن أن لديكما ماتفعلانه هنا فى هاير .. أليس كذلك ؟

وانطلقت بهم السيارة .. وكانت الارض مستوية مقفرة والطرق محفوفة بأشجار ذات ظل وخضرة دائمة . وبين الحين والحين ، تبدو للنظر شجرة نخيل .. أما على الجانب الايمن فكانت المستنقعات الملحية والملاحات الجافة تتناثر ، فكادت هذه المناظر تشعرهما بالانتقال كلية من أوربا الى افريقيا حيث تكون السماء بهذه الزرقة المثالية وحيث الهواء ساكن تماما ..

وغاظ سكون الهواء « ميجريه » فسأل « ليشار » بشىء من التهكم :

ـ وأين « المسترال » التى تهب على هذه المنطقة ؟

ـ توقف هبوبها فجأة أمس مساء . وكان هذا من حسن الطالع، لانها ظلت تهب تسعة أيام باستمرار .. وهذا وقت كاف لدفع المرء الى الجنون !

ولم يأخذ « ميجريه » هذا الكلام مأخذ الجد .. فأهل الجنوب ـ وجنوب فرنسا يبدأ عند ليون ـ لم يأخذوا رياح « المسترال » الموسمية مأخذ الجد اطلاقا . وارتسمت على وجه « ميجريه » ابتسامة استهانة . أما مستر « بايك » فكان على عادته يتظاهر بعدم الاكتراث ..

واستطرد « ليشار » يقدم البيانات لميجريه :

ـ لم يغادر أحد الجزيرة .. ففى استطاعتك أن تستجوب أى شخص كان موجودا فيها عندما قتل « باكو » ..

ـ والصيادون ؟ .

ـ لم يكونوا فى تلك الليلة فى البحر بسبب العاصفة التى أثارتها رياح « المسترال » ولكن زورقا من زوارق الطوربيد أتى من طولون مع عدد من الغواصات للقيام بالتدريبات فى مؤخرة الجزيرة . وقد اتصلت تليفونيا بقيادة الاسطول فأخبرونى أنهم متأكدون من أن هذه القطع الحربية لم تكن تلك الليلة راسية على شواطىء الجزيرة

www.ibtesamah.com/vb

ـ ومعنى هذا أن القاتل لم يزل فى الجزيرة ..

فظهرت الحيرة على وجه « ليشار » وهو يقول :

ـ ستتحقق من هذا بنفسك ..

وحلا لـ « ليشار » أن يقوم بدور المقيم القديم الذى يعرف المسالك والناس .. أما « ميجريه » فهو القادم الجديد الذى لا يعرف المسالك ولا الناس . وهو دور لم يكن يروق كثيرا للمفتش « ميجريه » !

وبعد مسيرة نصف ساعة أبطأت السيارة ، ثم وقفت عند منطقة صخرية ليس بها شىء يميزها اللهم الا حانة من طراز حانات الجنوب ، وبضعة أكواخ يسكنها الصيادون مطلية باللون الاحمر واللون الازرق الفاتح . ومن وراء ذلك بحر لا تشبه زرقته أى زرقة أخرى اللهم الا تلك الزرقة التى تشاهد على المصورات البريدية . وعلى خط الافق جزيرة صغيرة تتناثر فيها التلال الخضراء والصخور الحمراء والصفراء . ولاحظ « ميجريه » أن الانجليزى فتح فاه من فرط روعة المنظر ، فداخل « ميجريه » الزهو الشديد بوطنه ..

وأمام مرساة السفن الخشبية الصغيرة ، كان هناك زورق صيد فى الانتظار مطلى بلون أخضر فاتح تتخلله خطوط بيضاء . وقال « ليشار » :

ـ هذا الزورق تحت أمرنا .. فقد طلبت من جبريل أن يحضرنى فيه ثم ينتظركما ، فالسفينة التى تقوم بالخدمة المنتظمة فى هذا الخط اسمها « كورموران » ولا تأتى الا مرتين : الاولى فى الثامنة صباحا ، والاخرى فى الخامسة مساء .. وجبريل من عشيرة «جالى»

ـ وما أهمية هذا ؟ ..

ـ اسمح لى أن أفسر هذه المسألة .. فالناس فى هذه المنطقة ينتمون الى عشيرتين هما عشيرة جالى وعشيرة موران . وسكان الجزيرة أيضا ينتمون الى هاتين العشيرتين ..

وأخذ « ليشار » يحمل الحقائب ، وهى ليست كبيرة الحجم فى حد ذاتها .. ولكنها كانت تبدو أكبر حجما وهو يحملها بذراعيه الهزيلين القصيرين ..

www.ibtesamah.com/vb

وادار جبريل محرك الزورق الصغير .. وبدا المنظر كله وكأنه نزهة مرحة أو جزء من حكاية مما يروى للأطفال ، فلا يكاد يصدق العقل أنهم هنا بسبيل استقصاء ظروف مقتل انسان ! ..

وقال « ليشار » :

ـ لم يخطر لى أن اقترح عليكما مشاهدة الجثة ، وهى موجودة فى هاير .. وقد أجرى التشريح بواسطة الطبيب الشرعى أمس صباحا ..

والمسافة بين هذا المرسى المسمى رأس جينس وبين جزيرة بوركيرول تبلغ نحو ثلاثة أميال . وكلما تقدم الزورق يشق وجه الماء الناعم كالحرير ، كانت معالم الجزيرة تزداد اتضاحا بخلجانها وتلالها وقلاعها القديمة وسط المروج الخضراء . وعند مركز الجزيرة مجموعة من البيوت الصغيرة ذات الالوان الفاتحة ، وكنيسة بيضاء ذات برج رشيق ..

وكان الانجليزى ينظر مبهورا .. ثم سأل « ليشار » :

ـ اتظن انه فى استطاعتى أن أحصل من هنا على ثوب للاستحمام؟

ولم يكن مثل هذا الخاطر قد جال بذهن « ميجريه » وهو منحن فوق حاجز الزورق .. فسدد النظر الى الماء ، واكتشف أن قاع البحر لايبعد أكثر من ثلاثين قدما .. والماء صاف بحيث يتبين الناظر جميع تفاصيل ذلك القاع . وما أجمل تلك الصخور الصغيرة المكسوة بالطحالب الخضراء ، والاسماك تمرح فيما بينها فى قطعان شبيهة بقطعان الماشية ..

***

ومن خصائص هذه البقاع ألا يبدأ الانسان فى التعود عليها الا بعد برهة معينة .. فكل شىء فيها يبدو عند البداية غريبا . وعند مرسى الزورق فى الجزيرة شاهد « ميجريه » حفنة من الرجال واقفين فى الانتظار . ورأى عددا من صيادى السمك فى زوارق مطلية بألوان تجعلها أشبه بزينة عيد الميلاد !

وكانت جميع العيون مسلطة على الرجال الثلاثة وهم يهبطون من الزورق . ولم يفت عين « ميجريه » الفاحصة أن أولئك الناس فيهم عناصر متباينة .. فهناك مثلا رجل يرتدى ثيابا بيضاء وعلى

www.ibtesamah.com/vb

راسه قبعة بيضاء . وقد حيا الرجل « ميجريه » برفع يده ، ولم يعـرفه « ميجريه » لاول وهلة . ولكن « ليشار » همس فى اذنه قائلا :

ـ هذا « شارلو » !

ولم يثر هذا الاسم اى ذكرى لدى « ميجريه » .. واقبل عملاق حافى القدمين نقل الحقائب الى عجلة صغيرة من غير أن ينطق بكلمة، ثم دفعها فى اتجاه ميدان القرية .. ومن ورائه سار « ميجريه » و « بايك » و « ليشار » ، ومن خلفهم الحاضرون من أهل القرية .. فتألف من الجميع موكب عجيب صامت ..

وميدان القرية متسع مقفر ، تحف به أشجار الكافور والبيوت الملونة والكنيسة الصفراء ذات البرج الابيض ، وبضع مقـاه ذات شرفات مظللة

قال « ليشار » :

ـ كان فى استطاعتى أن أحجز لكما غرفتين فى جراند أوتيل ..

والفندق عبارة عن بناء متوسط الحجم يطل على المرفأ ، وعند مدخله وقف رجل فى ثياب الطباخين ..

واستطرد قائلا :

ـ ولكنى فضلت أن أحجز حجرات فى «سفينة نوح» .. لأسباب أستطيع أن أبينها للمفتش ..

وشرفة « سفينة نوح » المطلة على الميـدان أرحب من الشرفات الاخرى ، وتحف بها أشجار صغيرة ونباتات خضراء . أما فى الداخل فالقاعة معتمة قليلا ورطبة .. وهذا شىء مستحب بالنسبة لشدة الحرارة وشدة الضوء فى الخارج . وتشيع فى المكان رائحة الطهو والنبيذ الابيض ..

وتقدم رجل يرتدى زى الطباخين ولكنه عارى الرأس ، فمد يده وعلى وجهه ابتسامة مشرقة .. وقال مرحبا :

ـ ما أسعدنى بقدومك يامسيو « ميجريه » . لقد خصصت لك أحسن حجرة عندى ، وبطبيعة الحال ستتنـازل بقبول كوب من نبيذنا الابيض الذى نصنعه محليا .. أليس كذلك ؟

www.ibtesamah.com/vb

وهمس « ليشار » :

ـ هذا « بول » .. صاحب الخان ..

وكانت الارض مبلطة بالقرميد الاحمر .. أما البار فمكسو بطبقة من المعدن الابيض النظيف على طريقة بارات باريس ، وكان النبيذ الابيض المصنوع محليا باردا منعشا يمتاز بنكهة قوية

واستطرد الرجل قائلا :

ـ فى صحتك يامسيو « ميجريه » .. أنا لم أكن أحلم فى يوم من الايام أن يتاح لى الشرف العظيم باستقبالك فى خانى المتواضع

ولم يخطر ببال الرجل الساذج أنه مدين لهذا الشرف بجناية قتل . ولكن مامن أحد فى الجزيرة ، كان يبدو عليه أدنى اكتراث لوفاة « باكو » المسكين . . فمجموعة الناس الذين كانوا واقفين عند المرسى قد حضرت برمتها الى الميدان . وهاهم يقتربون من « سفينة نوح » .. بل ان فريقا منهم قد جلسوا فعلا على موائد الشرفة الخارجية

وقصارى القول أن الحادث المهم فى نظرهم ليس الجريمة التى وقعت بين ظهرانيهم ، بل وصول « ميجريه » بلحمه ودمه .. وكأنه فى نظرهم نجم من نجوم السينما !

هل تراه كان حسن الوقع فى نفوسهم ؟ وهل رجال سكوتلانديارد يشعرون بمزيد من الثقة بأنفسهم وهم على أهبة استجلاء غوامض قضية ؟ لا سبيل الى معرفة هذا الامر .. فهاهو مستر « بايك » يرقب كل شىء بنظراته ولا ينم وجهه عن شىء ، ولا يقول شيئا ..

وتنهد « ميجريه » بعد برهة ، وقد استقر فى جوفه كوبان كبيران من النبيذ الابيض وقال :

ـ أود أن أذهب واغسل وجهى من غبار السفر ..

فصاح « بول » :

ـ « جوجو » ! خذى المسيو « ميجريه » الى حجرته .. هل سيصعد معك صديقك أيضا ياحضرة المفتش ؟

و « جوجو » خادم سمراء ضئيلة الجسم ترتدى ثوبا أسود ، وجهها باسم ونهداها بارزان ..

www.ibtesamah.com/vb

وكان المبنى كله معبقا برائحة زيت الزعفران المستخدم فى طهو السمك . والارض فى الطابق العلوى مكسوة بالقرميد الاحمر مثل قاعة البار . وليست هناك سوى أربع حجرات ، وقد حجزوا فعلا افضلها لكبير المفتشين وهى حجرة ذات نافذة تطل على الميدان ونافذة تطل على البحر ..

وتحير « ميجريه » وأخذ يسأل نفسه : هل ينبغى أن يتركها لمستر « بايك » ؟ ولكن تردده طال حتى فاتت الفرصة . فها هى الفتاة تشير للمفتش الانجليزى الى باب حجرة أخرى ..

وسألت الفتاة « ميجريه » :

ـ هل انت بحاجة الى شىء آخر يامسيو « ميجريه » ؟ . الحمام فى نهاية الدهليز .. واعتقد أن به الآن ماء ساخنا ..

وكان « ليشار » قد صعد معه .. وذلك أمر طبيعى . ولكن « ميجريه » لم يدعه للدخول معه الى حجرته ، اذ خيل اليه أن فى ذلك اجحافا لصديقه الانجليزى .. فقد يتوهم أنهما يخفيان عنه بعض أسرار العمل ..

وقال « ميجريه » :

ـ سأهبط بعد دقائق معدودة يا « ليشار » ..

ثم خطر أن يجبر خاطر « ليشار » بكلمة .. وتذكر انه حينما قضى فترة من خدمته فى « ليسون » كانت مدام « ليشار » الجميلة شخصية موضع اهتمام . فقال :

ـ كيف حال مدام « ليشار » الفاتنة ؟

فاربد وجه « ليشار » وقال :

ـ ألم تبلغك الانباء ؟. لقد هجرتنى .. هربت منذ ثمانى سنوات مع موسيقى أفاق .. !

وسخط « ميجريه » على نفسه ، ولم يحر جوابا ..

وعندما خلا بنفسه فى المخدع ، خلع سترته وغسل يديه وأسنانه ووجهه واستلقى على الفراش فى مواجهة النافذة بضع دقائق . ووجد الفراش وثيرا والاثاث العتيق مريحا ، وتردد فى هل ينزل الى البار بالقميص والبنطلون لشدة الحر .. أم أن مهمته الرسمية تحتم عليه ارتداء السترة ..

www.ibtesamah.com/vb

وأخيرا فضل الرأى الثانى .. وعندما نزل وجد عددا من الاشخاص أمام البار ومعظمهم من صيادى السمك . أما « ليشار » فكان فى انتظاره عند الباب ..

ـ هل لك رغبة فى المشى ؟

ـ يحسن بنا أن ننتظر مستر « بايك » ..

ـ لقد ذهب ..

ـ الى أين ؟

ـ الى الماء .. اقرضه « بول » ثوبا للاستحمام ..

وهز « ميجريه » كتفيه مستسلما .. واتجه مع « ليشار » على غير هدى ، فقادتهما الاقدام وانحدار الارض الى المرفأ . وقال « ليشار » :

ـ أعتقد أنك يجب أن تكون حريصا جدا يامسيو « ميجريه » .. فأيا كان الشخص الذى قتل « باكو » فهو انسان يضمر حقدا شديدا عليك .. وسيحاول أثناء وجودك هنا أن ينتقم منك ..!

ولم يعلق « ميجريه » على هذا الكلام ، بل قال :

ـ يحسن أن ننتظر هنا الى أن يخرج مستر « بايك » من الماء ..

فأشار « ليشار » الى راس يعلو ويهبط بين الزوارق وقال :

ـ هل هو مشترك فى تحقيق القضية ؟ .

ـ كلا .. ولكنه يتتبع التحقيق كمراقب غير رسمى . وليس من اللائق أن يبدو علينا وكأننا ندبر خطة لحل غوامض القضية من وراء ظهره ..

ـ أعتقد أن الجراند أوتيل كان حريا أن يوفر لنا مزيدا من الهدوء . وهو فندق فخم وليس به نزلاء فى هذا الوقت . ولكن « بول » صاحب « سفينة نوح » هو الشخص الذى يحبه الجميع ، وفى خانه يلتقى جميع سكان القرية . وهناك أيضا بدأت تلك المشادة التى ذكر فيها « باكو » اسمك ، وزعم أنك صديقه ..

ـ فلنرجىء هذا الكلام الى حين عودة مستر « بايك » ..

ـ أتريد أن تستجوب الناس فى مواجهته ؟ .

ـ بل ينبغى أن افعل هذا من باب اللياقة ..

www.ibtesamah.com/vb

ولم يرق هذا الكلام لـ « ليشار » .. ولكنه لم يستطع ان يبدى احتجاجه ..

ـ وأين تريد أن تستدعيهم ؟ . لا أظن أن هناك مكانا أنسب من البلدية . وهى عبارة عن قاعة واحدة بها مقاعد ومنضدة كبيرة ورايات وتمثال نصفى للجمهورية .. والعمدة هو صاحب دكان البقالة المجاور لخان « سفينة نوح » ..

وأقبل مستر « بايك » يمشى فى الماء ، ثم خرج الى الشاطىء وهو يقول لهما :

ـ الماء هنا بديع للغاية ..

فقال له « ميجريه »

ـ فى وسعنا أن ننتظرك هنا الى أن تذهب وترتدى ثيابك ..

ـ أنا على مايرام هكذا ! ..

وأشار بيده الى يخت أسود اللون فى عرض البحر تخفق على مقدمته الراية البريطانية ، ثم سأل :

ـ من هذا ؟ ..

فقال له « ليشار » :

ـ هذه السفينة تسمى كوكب الشمال . وتأتى لترسو هنا كل سنة تقريبا . وصاحبتها مسز « الين ويلكوكس » . وهذا كما تعلم اسم ماركة مشهورة من ماركات الويسكى .. وهذه السيدة هى صاحبة مصنع الويسكى ..

ـ أهى صغيرة السن ؟ .

ـ صحتها جيدة ولا يبدو عليها العمر .. وهى تعيش على ظهر اليخت مع سكرتيرها الخاص « فيليب دى موريكور » . وفى خدمتها نوتيان ، ويقيم فى الجزيرة انجليزى آخر يعيش هنا طوال العام . وفى استطاعتك أن ترى بيته من هذا المكان ، انه البيت الذى بجواره المنارة ..

ولم يظهر على مستر « بايك » التحمس الشديد للالتقاء بمواطنيه الغرباء .. واستطرد « ليشار » فى شرحه :

ـ واسمه ميجر « بلام » .. ولكن الاهالى هنا ينادونه باسم الميجر فقط . وأحيانا باسم « تيدى »

www.ibtesamah.com/vb

ـ أظنه من ضباط الجيش الهندى ؟
ـ لا أدرى ..
ـ هل يفرط فى الشراب ..؟
ـ نعم .. كثيرا .. وستراه الليلة فى « سفينة نوح » .. بل الواقع أنك سترى الجميع فى السفينة الليلة بما فيهم مسز ويلكوكس وسكرتيرها الخاص ..
ـ وهل كانوا كلهم هناك عندما تكلم « باكو » عنى ..
ـ نعم يامسيو « ميجريه » .. فالجميع يسهرون كل ليلة تقريبا فى « سفينة نوح » فى جلسات شبه عائلية . وبعد أسبوعين ، سوف يتقاطر السواح الى هنا وتتغير الاحوال . أما الان فلا تزال الحالة كما كانت فى الشتاء .. السكان قليلون ، وكلهم أشبه بأعضاء أسرة واحدة .. ومعهم زبائن كل سنة الذين يحضرون مبكرا ويعتبرون تقريبا كالأهالى . وأما الميجر فيسكن المنارة منذ ثمانية أعوام طول السنة .. وأما الفيلا المجاورة لها فيملكها مسيو « اميل » ..

وألقى « ليشار » نظرة تردد على « ميجريه » .. وهذا يدل على أن « ليشار » كان يشعر أيضا فى وجود المفتش الانجليزى ببعض الحرج لاسباب قومية .. وسأله « ميجريه » :
ـ مسيو « اميل » ؟ . من هو ؟ .
ـ أنت تعرفه .. أو هو على الاقل يعرفك . فهو يعيش هنا مع أمه العجوز « جاستين » . وهى من أكثر النساء شهرة على ساحل الريفييرا ، لانها صاحبة « الازهار » فى مرسيليا و « الحوريات » فى نيس . وصاحبه ثلاثة من أشهر البيوت فى طولون وأفينيون وبيزى
ـ ترى هل أدرك مستر « بايك » أى نوع من البيوت هذه التى يتكلم عنها « ليشار » ؟
ـ ... وجاستين فى التاسعة والسبعين من عمرها .. وكنت أحسب أن عمرها يزيد على ذلك ، لان مسيو « اميل » يعترف ببلوغه الخامسة والستين . ويبدو أنها أنجبته وهى فى الرابعة عشرة . فهذا على الاقل ماقالته لى بالامس .. والاثنان يلزمان الاعتكاف والهدوء ولا يزوران أحدا . انظر ! .. تستطيع أن ترى

www.ibtesamah.com/vb

من هنا مسيو « اميل » فى حديقته مرتديا بدلة بيضاء وقبعة بيضاء وكأنه فأر أبيض .. ولديه زورق صغير ، شأنه فى ذلك شأن كل انسان هنا . ولكنه لا يبحر به مطلقا ، بل يجلس فيه وهو مربوط الى المرسى ويقضى ساعات فى الصيد ..

وكان الرجال الثلاثة يسيرون على الرمال على طول الوجهات الخلفية للبيوت المطلة على الميدان ..

واستطرد « ليشار » يقول :

ـ هناك شخصية محلية اخرى لها اهميتها .. ولعلنا سنتناول طعامنا الليلة على مائدة مجاورة لمائدته .. انه « شارلو » الذى لوح لك يامسيو « ميجريه » عند نزولك من الزورق . وقد طلبت منه أن يبقى هنا ولا يرحل كما كان يريد .. ولم يبد اعتراضا . ومن الغريب حقا انه مامن أحد أبدى رغبة فى الرحيل بعد الجناية ، والجميع يلتزمون الهدوء التام ..

وسأله « ميجريه » :

ـ واليخت الكبير ؟ .

وكان هناك حقا يخت أبيض ضخم غير جميل الشكل ، مصنوع من المعدن ويكاد يملأ المرفأ الصغير .. فقال « ليشار » :

ـ هلّ تعنى « أليسون » ؟ .. انه يبقى هنا طول السنة ويملكه أحد رجال الاعمال فى ليون واسمه مسيو جورجى .. ولا يستعمله الا اسبوعا واحدا فى كل سنة . وكل مايفعله فى ذلك الاسبوع أن يذهب للاستحمام على مرمى حجر من الجزيرة . ويقوم على خدمة اليخت نوتيان من بريطانيا يعيشان فيه حياة سهلة ناعمة ..

ولعل الانجليزى كان ينتظر من « ميجريه » أن يدون مذكراته وملاحظاته .. ولكن « ميجريه » كان يدخن غليونه وينظر حوله فى تراخ وكسل وينصت فى شرود لبيانات « ليشار » !

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الثالث

استطلاع

والتفت « ليشار » ليشير الى زورق منعزل عن سائر الزوارق وهو يقول :

ـ هل ترى هذا القارب الصغير المطلى باللون الاخضر ، المنفرد بنفسه عن جميع السفن وله شكل غريب ؟..

ـ آه .. آه .. رايته ..

ـ ان قمرته صغيرة جدا .. ومع هذا يعيش فيه شخصان ، رجل وفتاة .. نصبا خيمة من قلاع الزورق فوق سطحه . وهناك ينامان معظم الوقت . وهناك أيضا يقومان بطهو طعامهما وغسل ثيابهما . وهذان الشخصان ليسا من رواد الجزيرة الدوريين . ولكن الناس وجدوهما ذات صباح وقد ربطا زورقهما حيث تراه الان . والرجل اسمه « جيف دى جريف » ، وهو هولندى الجنسية ، وصناعته رسام ، وسنه لا تتجاوز الرابعة والعشرين . وستراه الليلة .. أما الفتاة فاسمها « أنا » .. وهى ليست زوجته ، فقد وضعت اليد على أوراقهما واحتفظت بها معى ... وسنها ثمانى عشرة سنة ، ومولودة فى أوستند وهى نصف عارية طول الوقت . وأحيانا يزيد عريها على النصف .. ومتى هبطت الظلمة رايتهما يسبحان فى الفسق عند نهاية المرسى ، وليست عليهما أى قطعة من الثياب ..

وانتهز « ليشار » هذه الفرصة ليقول شيئا اكراما لخاطر مستر « بايك » الانجليزى :

www.ibtesamah.com/vb

ـ واحقاقا للحق اذكر أيضا أن هذين الهولنديين لا ينفردان بذلك السلوك .. فالصيادون يؤكدون أن مسز ويلكوكس تسبح عارية تماما فى المياه المحيطة بيختها ..

وكانت جماعات صغيرة من الناس تتسكع وتتطلع بفضول نحو الرجال الثلاثة ، فى حين استطرد « ليشار » يقول :

ـ وعلى بعد خمسين ياردة أخرى من زورق الهولندى الاخضر تستطيع أن ترى زورق « باكو » ..

من ذلك الموضع من المرفأ ، كانت تبدو لهما بوضوح تلك الفيلات الصغيرة التى تحيط بكل منها مساحة واسعة من المروج الخضراء. وأشار « ليشار » الى تلك الفيلات بيده وقال :

ـ سأذكر لك الان من الذى يسكن فى كل واحدة من هذه .. هذه مثلا هى التى يقيم فيها مسيو « اميل » ووالدته . وأما المنارة فقد ذكرت لكما من الذى يسكنها ...

وأمام كل فيلا مرسى صغير ملحق بها على شاطىء البحر .. وقد شد الى أحد هذه المراسى زورق طوله نحو ثمانية عشر قدما، أشار اليه « ليشار » وقال :

ـ وهذا هو زورق « باكو » ..

وكان الزورق قذرا .. وسطحه غير مرتب ، وبه موقد من أحجار كبيرة معدة للطهو ، واناء من المعدن ، وبضعة أوعية كساها الدخان بطبقة سوداء وبضع زجاجات نبيذ خاوية ..

وسأل « ليشار » :

ـ أحقا كنت تعرفه يامسيو « ميجريه » فى باريس ؟..

ـ نعم فى باريس ..

ـ ان أهل المنطقة يرفضون تصديق أن هذا الرجل ولد فى الهافر ، فالكل هنا كانوا يعتقدون انه من أهالى الجنوب .. فهو يتكلم بلهجتهم ، وكانت أطواره غريبة .. يقيم طول السنة فى زورقه ، وفى أوقات متباعدة كان يذهب بزورقه الى القارة على حد تعبيره . ومعنى هذا أنه يعبر الماء ويربط زورقه فى راس جينس أو عند سان تروبيز على مسافة ثلاثة أميال من هنا . وحين تسوء الحالة الجوية غاية السوء ، كان يتخلى عن زورقه ليبيت لياليه

www.ibtesamah.com/vb

فى ذلك الكوخ الذى يواجه المرفأ تماما . وفى هذا الكوخ يغـــلى الصيادون شباكهم ويجففونها .. وعلى الجملة لم تكن لهاحتياجات، وانما كان الجزار يمنحه قطعة من اللحم بين حين وآخر . واما الصيد فلم يكن يمارسه كثيرا .. واذا مارسه ففى مدة الصيف فقط ، عندما يخرج مع السائحين فى رحلات صيدهم . وعلىطول الشاطىء يجد الانسان شخصيات قليلة من طراز « باكو » ..

ـ وهل كان يفرط فى الشراب ؟

ـ كان يشرب النبيذ الابيض .. وحينما يريد الناس منـــه أن يساعدهم فى أى عمل من الاعمال كان الاجر الذى يتقاضاه منهم زجاجة من النبيذ الابيض . وكان يعتمد على لعب « السيجا » فى كسب زجاجات ذلك النبيذ أيضـــا .. فالنـــاس هنا مولعون بـ « السيجا » .. وكان هو بارعا جـــدا فى لعبهـــا . وفى الزورق وجدت الخطـــاب ، وساحضره اليك حالا .. فقـــد تركته فى مبنى البلدية ..

ـ ألم تجد معه أوراقا اخرى ؟

ـ وجدت دفتر خدمته العسكرية ، وصورة امراة .. ولا شىء سوى ذلك . ومن الغريب حقا انه احتفظ بخطابك كل تلك المدة .. الا تعتقد هذا ؟

ولم يجـــد « ميجريه » فى ذلك مدعاة للدهشـــة البـــالغة التى أبداها « ليشار » ولكنه لم يعلق بشىء أمام ضيفه الانجليزى الذى بدأ ثوب استحمامه يجف على جسده

ـ وهل تريد يا مســـيو « ميجـــريه » أن ترى الكوخ ؟ لقد أغلقته ولكن المفتاح فى جيبى .. ولابد لى من اعادته للصـــيادين لأنهم لا يستطيعون الاستغناء عن استعمال الكوخ ..

ولم يكن فى وسع « ميجريه » أن يهتم الآن بالكوخ ، لانه كان جائعا . وكان متلهفـــا أيضا على أن يرى زميله الانجليـــزى فى ملابس أكثر ملاءمة من ثوب الاستحمام وأليق بمهمة التحقيق . وكان أيضا فى حاجة الى جرعة أخرى من ذلك النبيذ الأبيض .. ولهذا اتجه الرجال الثلاثة الى « سفينة نوح » . وصعد مستر « بايك » الى حجرته ليرتدى ثيابه ، ثم عاد بعـــد قليل بقميص

www.ibtesamah.com/vb

مفتوح مثل « ليشار » وفى قدميه حذاء من القماش الأزرق لعله اشتراه من حانوت العمدة الذى يبيع فيه البقالة والخردوات ..

وظل الصيادون لا يجسرون على التحدث الى « ميجريه » وهو جالس فى قاعة البار يشرب النبيذ الابيض . وكانت هذه القاعة تنقسم قسمين : قسم فيه البار ـ وهو القسم الأكبر ـ أما القسم الاصغر فبه مناضد صغيرة عليها أغطية حمـــراء . وعلى قيد منضدتين من « ميجريه » جلس « شارلو » منهمكا فى تصـــفيف مجموعة من قواقع البحر ..

وفى هذه المرة أيضا رفع يده بالتحيـــة عنـــدما نظر ناحية « ميجريه » . ثم قال بلهجة متراخية :

ـ كيف الاحوال ؟ ..

والمعـــرفة بينهما قديمـــة .. فقد أمضى « شارلو » بضع ساعات ، او لعلها سحابة ليلة كاملة بمفرده مع « ميجريه » فى مكتبه بباريس منذ ســـتة اعوام تقريبا ، وقد نسى « ميجرية » اســـمه الحقيقى ، فالجميع يعرفونه باسم « شارلو » ..

و « شارلو » يقوم بعمليات مختلفة لا يعنيه مدى اتفاقها مع القوانين مادام يجنى منها أرباحا .. فهو يقوم بتوريد الفتيات للمواخير المرخص بادارتها رسميا فى مقاطعات جنوب فرنسا .. ويهرب الكوكايين وسلعا أخرى على شاكلته . وله صلة بالمراهنات السرية على السباق . وفى المعارك الانتخابية يفدو من انشـــط الدعاة الانتخابيين المتجولين على طول ساحل الريفييرا !

وهو انسان شديد العناية بمظهره .. شـــديد التـــأنق فى ملبسه .. كل اشاراته متكلفة . ويتصـــنع الهدوء كأنه يرتدى على وجهه قناعا ، وفى عينيه وميض طفيف يوحى بالسخرية ...

والتفت « ميجريه » الى ضيفه الانجليزى قائلا :

ـ أتحب طريقة الطهو فى الريفييرا يا مستر « بايك » ؟

ـ لا عهد لى بأطعمة الريفييرا ..

ـ أتحب أن تجربها ؟ ..

ـ بكل سرور ..

وأقبل « بول » صاحب الخان يقدم اقتراحاته :

www.ibtesamah.com/vb

ـ ما الرأى فى طبق من العصافير كفاتح للشهية ؟ عندى كمية منها فرغنا من طهوها الآن ..

وبعد قليل قدم « بول » طبق العصافير .. فاستقبله «بايك» بنظرة تفيض رقة وحنانا مما يدل على محبته للطيور .. فقال له « ميجريه » :

ـ انها تلك العصافير التى يغطى صدرها ريش أحمر والمعروفة باسم « ابى الحن » ...

ومن مائدته كان « شارلو » لا يكف أثناء تناوله الطعام عن الهمس :

ـ ها أنتذا ترى يا مسيو « ميجريه » اننى بررت بوعدى لك والتزمت السبيل القويم .. ولما علمت بقرب قدومك بقيت فى انتظارك من غير أن يساورنى القلق . ولم أتقدم الى المفتش « ليشار » بطلب الاذن فى مغادرة الجزيرة ..

وأعقب ذلك صمت طويل .. ولما لم يتلق ردا عاد يقول :

ـ وأنا تحت امرك فى اى وقت تشاء .. وسيقرر « بول » أمامك اننى لم أبرح الحان تلك الليلة ..

ـ وهل أنت متلهف الى هذه الدرجة ؟ ..

ـ متلهف على ماذا ؟ ..

ـ متلهف على تبرئة نفسك ..

ـ كل ما هناك انى أريد أن أساعد على توضيح الموقف أمامك ؛ حتى لاتتخبط هنا وهناك على غير هدى .. !

ـ وهل كنت تعرف « مارسلان باكو » ؟ ..

ـ شربت معه النبيذ مئات المرات .. ان كان هذا هو ما تعنيه بسؤالك . وهل حقا أنك أتيت معك بمفتش من سكوتلانديارد ؟

وأخذ « شارلو » يفحص مستر « بايك » باستهانة كأنه ينظر الى شىء طريف أو مخلوق عجيب التكوين ، ثم قال :

ـ هذه ليست بالقضية التى يصلح لها هذا الانجليزى ، ولا أنت أيضا تصلح لها ان سمحت لى بهذا التعبير . وأنت تعلم اننى كنت حريصا على الدوام على الا أشترك فى سفك الدماء . وأنا أكلمك بصراحة لأن الظروف التى جمعت بيننا فى الماضى لم تترك فى نفسى

www.ibtesamah.com/vb

احقادا . وبهذه المناسبة ما اسم ذلك الجاويش القصير البدين الذى فى مكتبك ؟ آه .. لوقا ! كيف حال لوقا ؟ ألم يزل بدينا ؟ يا « بول » ! ... « جوجو » ! ...

ولما لم يتلق جوابا وثب بسرعة الى المطبخ ، ثم عاد وفى يده طبق مفعم بالمايونيز تفوح منه رائحة التوابل !

وبعد لحظة استأنف همسه « لميجريه » :

ـ الا يمنعكما وجودى من الحديث ؟ ..

ـ كلا .. اطلاقا ..

ـ على كل حال ان ضايقك كلامى ففى استطاعتك أن تقول لى بكل تهذيب طبعا « اخرس ياشارلو ! » فأغلق فمى ... فانا مسرور اليوم لأن الامس كان عيد ميلادى .. بلغت الآن الرابعة والثلاثين ، ويسرنى أن لى سنوات لم أتحدث حديثا انفراديا مع أحد من زملائك ، مثل تلك الأحاديث التى جرت بينى وبين مفتشى البوليس فى باريس ومرسيليا وغيرهما من البلاد . وكان بعض زملائك عنيفا فظا معى .. ولكن الجميع يشهدون بأنى لم ألوث يدى بدم انسان .. !

وكان « ميجريه » يعلم أن هذا حق .. فصحيفة « شارلو » الجنائية بها أكثر من عشرة أحكام وسوابق ، ولكنها جميعا جرائم سلمية ليس فيها اعتداء على الحياة

واستأنف « شارلو » تقريره عن نفسه قائلا :

ـ هل تعلم يا مسيو « ميجريه » لماذا آتى الى هذه الجزيرة بانتظام فى كل سنة ؟ الحقيقة أنى أحب هذا المكان .. و « بول » انسان طيب ، ولكن هناك سببا آخر .. انظر الى هذا الركن ، فى جهة اليسار .. هذه آلة للفواكه والحلوى ، تضع فيها النقود فتخرج لك كمية منها . ولى نحو خمسين آلة من هذا النوع فى الخانات والحانات ما بين مرسيليا وسان رافاييل .. وهى مهنة ليست قانونية تماما ، وبين حين وآخر يصاب السادة حماة القانون بنوبة حماسة فيزيلون آلة أو آلتين منها .. !

وكان مستر « بايك » فى هذه الاثناء قد أكل كمية كبيرة من العصافير بدقة غريبة وشهية عظيمة بالرغم من رقة قلبه وحنوه

www.ibtesamah.com/vb

على تلك الطيور البريئة الجميلة ! وهو الآن يتشمم رائحة المايونيز باشتهاء واضح ..

وعاد « شارلو » الى الكلام بصوته المنخفض :

ـ لعلك تعجب لماذا أتكلم اليوم بهذه الكثرة ؟

ـ أنا لم أعجب من شيء ..

ـ ان الثرثرة على كل حال ليست عادة من عاداتى .. ولكنى سأخبرك لماذا أكثر من الكلام الآن . فهنا فوق هذه الجزيرة شخصان لابد أن تتجه اليهما الريبة ، وهذان الشخصان هما « اميل » وأنا .. فكل منا له سوابق ، والناس هنا يعاملوننا بكل رعاية لسخائنا فى بذل الأنخاب ، ولكنهم من وراء ظهورنا يتغامزون علينا .. وفى أول فرصة تتجه الينا العيون بالتهمة . ولهذا لم أتلهف على مغادرة الجزيرة بعد وقوع الحادث . ولم أحاول الاتصال تليفونيا بأتباعى على الشاطىء الآخر . وكنت أعلم أن زميلك الضئيل الجسم « ليشار » كان يرقبنى عن كثب طيلة اليومين الماضيين . ولهذا أحب أن أصارحك القول بغير مواربة حتى أوفر عليك التخبط : ان توجيه التهمة لى سيتكشف عن خطأ جسيم .. وهذا كل ما عندى . وأنا على كل حال رهن اشارتك يا سيدى كبير المفتشين « ميجريه » ..

وانحنى « شارلو » بأدب ـ ينطوى على شيء من التهكم ـ ثم غادر القاعة وفى فمه عود خلال . وانتظر « ميجريه » الى أن ابتعد « شارلو » تماما ، وسأل زميله الانجليزى بكل هدوء :

ـ هل يحدث لديكم أن تنشأ الصداقات بينكم وبين عملائكم السابقين ؟

وبهدوء قال « بايك » :

ـ ليس على هذا المنوال على كل حال ..

ـ ماذا تعنى ؟ ..

ـ من النادر أن يكون المجرمون لدينا ذوى شخصيات طريفة .. فالامور عندنا لا تجرى على شاكلة الأمور عندكم تماما ..

ولفتت هذه الملاحظة ذهن « ميجريه » الى مسز ويلكوكس الثرية الانجليزية وسكرتيرها الباريسى الشاب . وأدرك حقا أن

www.ibtesamah.com/vb

الأمور فى انجلترا لا تجرى على شاكلة الامور فى اى بلد آخر من العالم . وذكره ذلك أيضا بمفتش سكوتلانديارد الذى يتمشى فى مسرح الجريمة بثوب الاستحمام المبلل ..

واستطرد « بايك » يقول موضحا نظريته :

ـ أنا مثلا على علاقات يمكن أن تسميها ودية منذ زمن طويل مع لص مجوهرات ذائع الصيت ، فلدينا فى انجلترا عدد كبير من لصوص المجوهرات . ويكاد هذا يعتبر من مميزاتنا القومية ! .. وهؤلاء اللصوص فى الاغلب الاعم رجال متعلمون تخرجوا فى أرقى المدارس ويتمتعون بعضـــــوية أرقى الأندية . وقد ظللت أربع سنوات اتعقب آثار هذا اللص الذى احدثك عنه .. وكان يعرف انى أراقبه وأتعقبه ، فنشأت خلال ذلك التعقب معرفة وثيقة . وكثيرا ما كان يحلو لنا أن نشرب كأسا من الويســكى فى بار من البارات الراقية معا ، فان هذا كان يزيد من طرافة اللعبة . . وكثيرا ما لعبنا الشطرنج معا !

ـ وهل ظفرت به فى النهاية ؟

ـ اطلاقا .. وقد وضعنا حدا للمباراة الطويلة باتفاق مما نسميه فى انجلترا « اتفاق الجنتلمان » .. فاننى لشدة تعقبى له قطعت عليه السبيل مدة سنة كاملة ساءت فيها أحواله المالية . ولكن هذا كلفنى الانقطاع لمراقبته ، وبمقتضى « اتفاق الجنتلمان » نصحته أن يغادر البلاد ليمارس نشاطه فى قطر آخر ..

ـ وهل رحل بعد ذلك الى نيويورك ؟

ـ العصابات هناك منظمة وتحتكر السوق .. !

وبكل هدوء استطرد مستر « بايك » وهو يتنــاول عودا من الخلال :

ـ انه فى الوقت الحاضر يمارس نشاطه فى باريس !

وأحضرت « جوجو » زجاجة أخرى من النبيذ الابيض . . ونظر « ميجريه » فيما حوله فرأى « شارلو » جالسا فى الشرفة يلعب « الســـيجا » مع صياد ، ومن حولهما حفنة من الرجال يشاهدون المباراة . وقال « ليشار » الذى يشعر بتراخ من كثرة الاكل كالذى شعر به « ميجريه » :

www.ibtesamah.com/vb

ـ هل ستباشر التحقيق فى مبنى البلدية ؟

وسأله « ميجريه » ببلادة :

ـ اى تحقيق ؟ ..

ثم تنبه الى وجود مســـــتر « بايك » وخجل أن يصرح أمام بحاجته الى النوم بعد هذه الوجبة الدسمة والشراب الجيد فى هذا الجو الحار ، فأسرع يقول مستدركا :

ـ نعم .. نعم .. فى قاعة البلدية !

ahmad2006771
www.ibtesamah.com/vb
حصريات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الرابع

العاشقان

أقبل المسيو « فليسيان جاميه » عمدة الجزيرة وبقالها ، وفى يده المفتاح ، كى يفتح لهم باب قاعة البلدية . وهذا العمدة يقوم أيضا بوظيفة الحداد فى جزيرته ، ولهذا يرتدى قميصا مما يرتديه الحـــــدادون .. حتى ليكاد يمس العقبين ، ممـــا جعل « ميجريه » يتساءل فيما بينه وبين نفســـه : هل تراه يرتدى بنطلونا عاديا تحت ذلك القميص أم هو بنطلون قصير لا يبدو منه شىء ، فيخيل الى من يراه فى زيه هذا أن الرجل يسير فى جلباب نومه ...

وبعد أن فتح « فليسيان » باب البلدية ، سأل بأدب :

ـ لا أظنكم أيها السادة ستكونون بحاجة الى وجودى معكم؟..

وعند المدخل المفضى الى القاعة التى تراكم الغبار على كل شىء فيها وقف « ميجـــريه » ومستر « بايك » يتبـــادلان نظرات الدهشة ، ثم يحملقان فى وجه « ليشار » ووجه « فليسيان » . فعلى المائدة المستطيلة التى تستخدم فى اجتماعات المجلس ، وفى اجراء الانتخابات ، استقر تابوت من النوع الرخيص يبـــدو أنه ليس جديدا ، وبكل بساطة قال العمدة للرجال الثلاثة :

ـ اذا سمحتم بمســـــاعدتى لنقل التابوت الى أحد أركان القاعة ..

وسأله « ميجريه » متعجبا :

ـ ما حكاية هذا التابوت ؟ ..

بكل بساطة أيضا ، قال العمدة « البقال الحداد » :

www.ibtesamah.com/vb

ـ انه تابوت البلدية ..

ـ تابوت البلدية ؟ ! ..

ـ ان القانون يلزم البلدية بتحمل جميع نفقات دفن المعدمين. وليس لدينا فى هذه الجزيرة الا نجار واحد .. وهو رجل متقدم جدا فى السن . ولهذا فهو بطىء جدا فى عمله ، وفى فصل الصيف تشتد الحرارة كما تعلمون .. ولذا تفسد الجثث بسرعة ، ولا يمكن الانتظار حتى يتمكن النجار من صنع التابوت فى حينه !

وكان « فليسيان » يشرح المسألة وكأنها شىء عادى جدا ..

ـ وهل لديكم فى الجزيرة الكثيرون من المعدمين ؟ ..

ـ ليس لدينا رسميا الا معدم واحد فى الجزيرة هو العجوز « بنوا » ..

ـ فهذا التابوت اذن معد خصيصا للعجوز « بنوا » ؟

ـ هذا هو المفروض نظريا .. ولكننا يوم الاربعاء الماضى استخدمناه فعلا لنقل جثة « باكو » الى هاير للتشريح ..

ولما رأى العمدة نظرات الفزع ، أسرع يقول مستدركا :

ـ لا تقلقوا ! لقد طهرناه تطهيرا تاما بعد ذلك .. تفضلوا الآن بالجلوس

وكانت المقاعد القليلة فى القاعة مريحة للغاية ...

ـ والآن هل تأذنون لى أيها السادة فى مغادرتكم ؟

ولكن « ميجريه » استوقفه قائلا :

ـ قل لى أولا من هو العجوز « بنوا » ؟

ـ لابد أنك رأيته يا مسيو « ميجريه » .. والا فأنت ستراه عما قريب حتما .. فشعره طويل يتدلى على كتفيه ، وله لحية طويلة كثة . انظر من هذه النافذة ، ففى استطاعتك أن تراه مستلقيا على مقعد بالقرب ممن يلعبون « السيجا » غارقا فى نوم القيلولة ..

والقى « ميجرية » نظرة من النافذة ، ثم سأل العمدة :

ـ وهل هو طاعن جدا فى السن ؟ ..

ـ لا أحد يدرى كم عمره .. وهو نفسه لا يعلم كم عمره بالضبط . ولكن من روايته للاحداث يستنتج الناس أنه يخطو نحو المائة .. الا أنى اعتقد أنه يبالغ فى سنه على سبيل المباهاة .

www.ibtesamah.com/vb

وليست له بطاقة ولا شهادة ميلاد ، واسمه الحقيقى غير معروف . وقد هبط أرض الجزيرة منذ زمن بعيد جدا عندما كان « موران » ذو اللحية صاحب المقهى العجوز شابا حديث السن ..

ـ ومن أين أتى ؟ ..

ـ وهذا أيضا غير معلوم .. ولكن من المؤكد عموما أنه جاء من ايطاليا .. فمعظم الوافدين الى هنا جاءوا من ايطاليا ، وتستطيع فى العادة أن تحدد من طريقة كلامهم هل هم فى الأصل من أهالى جنوا أم من منطقةنابلى . ولكن « بنوا » له لغة خاصة به .. وليس من السهل أن تفهم كلامه

ـ هل هو مسلوب ؟ ..

ـ عفوك .. لم أفهم مرادك ..

ـ هل عقله مختل قليلا ؟ ! ..

ـ انه أشبه بالقرود فى تصرفاته وتقلب أحواله .. فهو يبدو اليوم مثلا وكأنه « بطرك » بلحيته وشعره الطويل . ولكن الجائز جدا بعد بضعة أيام حين يبدأ المصيفون فى التقاطر على الجزيرة ، أن تراه وقد حلق لحيته ورأسه . فهذا شىء يقدم عليه مرة فى السنة مع بداية الصيف .. ثم يبدأ فى اصطياد الديدان !

ـ الديدان ؟ ! ..

ـ الديدان العضاضة ، وهى ديدان ذات رؤوس صلبة توجد فى الرمال على الشاطىء .. ويفضل الصيادون استخدامها على سائر أنواع الطعم . ولهذا تباع بثمن مرتفع نسبيا ، وطيلة شهور الصيف يشاهد الناس العجوز « بنوا » خائضا فى الماء الى خاصرته منقبا عن الديدان العضاضة .. أما فى سابقأيامه فكانت حرفته البناء . وبيديه شيد عددا كبيرا من بيوت الجزيرة القائمة اليوم ..

وبعد أن فرغ « فليسيان » من تقريره قال :

ـ هل هناك خدمة أخرى أؤديها أيها السادة ؟

ـ شكرا لك ..

وأسرع « ميجريه » بفتح النوافذ كلها كى يجدد هواء القاعة

www.ibtesamah.com/vb

التى يبدو أنها لم تكن تفتح الا يوم عيد الحرية من كل سنة . ولم يكن « ميجريه » يدرى على وجه الدقة ماذا سيفعل فى هـــذا المكان .. وهو لا يشعر بأى رغبة فى استئناف التحقيق والشروع فى توجيه الاسئلة . ترى لمـاذا قبل الحضور الى البلدية عندما اقترح عليه « ليشار » ؟ هل كان ذلك جبنا منه بسبب وجود مستر « بايك » معه ؟ وهل ليس من المألوف فى انجلترا أيضـا عند بداية قضية أن يســـألوا الناس الذين كانوا فى مسرح الجريمة ؟ وهل سينظر اليه « بايك » نظرة جدية لو أنه أطاع نفسه وانطلق يجوس خـــلال الجزيرة كمن ليس لديه أمر مهم رسمى يشغله ؟ ! ..

مهما يكن من شىء ، فالجزيرة هى التى كانت مستحوذة على اهتمامه فى تلك اللحظة .. فلم يشعر بأى اهتمـام نحو شخص معين بالذات . ولعل البيان الموجز الذى قدمه العمدة قد رسم أمامه صورة عامة لأولئك الناس الذين يعيشـــون فى زوارقهم ويجوبون بها ساحل الريفييرا ، وكأنهم يتنزهون فى شارع كبير من شوارع باريس بغير وحشة . . فذلك الساحل هو وطنهـم الحقيقى . وهـــذا النمط من النـاس هو الذى ينتمى اليه « مارسلان باكو » .. نمط « البدو » البحريين ان صح هـــذا التعبير ، يقيمون ويرتحلون حيث يطيب لهم ذلك .. على حسب الجو وامكانيـــات الصيد . وربما انقطعت صلتهم بالبر الا من خطاب الى زوجة أو خطيبة أو أم ..

وتنبه « ميجريه » من شروده على صوت « ليشار » يسأله :

ـ هل أدخلهم واحدا واحدا ؟ .. بمن منهم تريد أن تبدأ ؟

وسيان عند « ميجريه » أن يبدأ بهذا أو ذاك .. ولذا ترك للصدفة زمامه

ـ انى أرى الشاب الهولندى « دى جريف » يعبـــر الميدان ومعه فتاته .. فهل أستدعيه لمقابلتك ؟ ..

ـ قل لى أولا يا « ليشار » : هل هؤلاء الشـــهود الذين سأستجوبهم قد تم استدعاؤهم للتحقيق بصفة رسـمية وأخطروا بذلك ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ كلا .. بل هم يأتون للادلاء بأقوالهم بمحض اختيارهم .. فمن حقهم أن يجيبوا أو لا يجيبوا . ولكن فى الغالب انهم يفضلون الاجابة ، وقد يحدث أن يصر بعضهم على حضـــور المحامى معه أثناء الادلاء بأقواله ..

ولا بد ان الجزيرة كلها علمت ان كبير المفتشـــين « ميجريه » موجود فى قاعة البلدية . فها هى مجموعات كثيرة من الناس تفد الى الميدان .. ونزل « ليشار » فشق تلك الجموع وانفرد تحت ظلال أشجار الكافور بشاب وفتاة . ثم لم يلبثا أن أقبـلا معه صوب القاعة .. وبدا شعر « دى جريف » الأشقر ملفتا للنظر لان الشمس كانت قد صبغت بشرة وجهه بسمرة داكنة مثل سمرة أهل جزر تاهيتى . وكانت ثيابه عبارة عن بنطلون قصير فاتح اللون وحذاء من القماش . أما رفيقته فكانت ترتدى بنطلونا وقميصا ملتصقين بجلدها تمام الالتصاق ..

وسأل الهولندى فى ارتياب :

ـ أتريد أن تتحدث الى حقا ؟ ..

فهتف « ليشار » يطمئنه :

ـ ادخل .. ادخل ! .. ان كبير المفتشين « ميجريه » سيسأل الجميع .. انها مسألة « روتين » شكلى لابد منه ..

وكان الهولندى الشاب يتكلم الفرنسية من غير لكنة . وقـد أمسك فى يده حقيبة من الشباك لشراء الخضر والبقالة . ويبـدو أن الشابين كانا فى طريقهما الى السوق عندما قطع عليهما «ليشار» الطريق ..

وبدأ « ميجريه » الاستجواب :

ـ ألك زمن طويل وأنت مقيم فى زورقك ؟ ..

ـ ثلاث سنوات .. لماذا السؤال ؟

ـ انك رسام فيما قيل لى .. فهل تبيع لوحاتك ؟

ـ عندما تسنح الفرصة ..

ـ وهل تسنح كثيرا ؟ ..

ـ نادرا ما تســـنح .. .. فقد بعت مثلا لوحة للمســز « ويلكوكس » فى الاسبوع الماضى

www.ibtesamah.com/vb

ـ هل تعرفها معرفة جيدة ؟ ..
ـ لقد التقيت بها هنا ..

وعندئذ دخل « ليشار » وهمس فى أذن « ميجريه » يسأله هل يريد منه أن يذهب ليأتى بالمسيو « اميل » الآن .. وأومأ « ميجريه » برأسه موافقا ..

ـ وأى طراز من الناس هى ؟
ـ مسز « ويلكوكس » ؟ ..
ـ نعم ..
ـ انها عجيبة ..
ـ ماذا تعنى بهذا ؟ ..

ـ لا شىء .. وكان من الممكن أن التقى بها فى مونبارناس قبل ذلك ، لأنها تقيم بباريس فترة من كل شتاء . وقد اكتشفنا أن لنا أصدقاء مشتركين هناك ..

ـ وهل ذهبت كثيرا الى مونبارناس ؟ ..
ـ لقد عشت سنة كاملة فى باريس ..
ـ فى زورقك ؟ ..
ـ نعم .. ربطناه فى مرسى بون ماريه « كوبرى مارى »
ـ هل أنت غنى ؟ ..
ـ لا أملك خردلة ..
ـ قل لى : كم عمر صديقتك بالضبط ؟
ـ ثمانية عشر عاما ونصف عام ..
ـ ألستما متزوجين ؟ ..
ـ كلا ..
ـ وهل والداها موافقان ؟
ـ انهما يعلمان انها تعيش معى ..
ـ منذ متى ؟ ..
ـ منذ سنتين ونصف سنة ..

ـ معنى هذا أنها كانت فى السادسة عشرة بالضبط عندما أمست عشيقتك

ولم يهتز الفتيان لوقع تلك الكلمة أقل اهتزاز !

www.ibtesamah.com/vb

ـ ألم يحاول والداها استردادها ؟ ..
ـ استرداها جملة مرات .. فكانت تهرب وتعود !
ـ وأخيرا نفضا يديهما ؟ ! ..
ـ أهلها يفضلون الآن عدم التفكير فى هذا الموضوع ..
ـ وماذا كانت مواردك للاقامة فى باريس ؟ ..
ـ كنت أبيع لوحة مابين حين وآخر .. وكان لى هنـــاك أصدقاء ..
ـ هل كانوا يقرضونك نقودا ؟ ..
ـ فى بعض الاحيان .. وفى أحيان أخرى كنت أشتغل حمالا فى سوق الخضر !
ـ وهل كانت تساورك الرغبة هناك فى القـــدوم الى هـذه الجزيرة ؟
ـ لم اكن اعلم بأن لهذه الجزيرة وجودا فى الدنيا ..
ـ أين اذن كنت تريد أن تذهب ؟ ..
ـ الى أى مكان بشرط أن تكون الشمس فيه مشرقة أكبر قدر من الايام ..
ـ وأين تريد أن تذهب من هنا ؟ ..
ـ الى أى مكان آخر به شمس ..
ـ ايطاليا ؟ ..
ـ أو أى مكان آخر ..
ـ هل كنت تعرف « مارسلان باكو » ؟
ـ كان يساعد على ترميم زورقى عند اللزوم وطلائه بالقار ..
ـ هل كنت فى « سفينة نوح » ليلة مقتله ؟ ..
ـ نحن نسهر هناك كل ليلة تقريبا ..
ـ وماذا كنتما تفعلان ؟ ..
ـ كنت ألعب الشطرنج مع « أنا » ..
ـ وهل لى أن أسألك عن مهنة أبيك ؟ ..
ـ انه مستشار فى القضاء العالى ..
ـ الا تعلم لماذا قتل « مارسلان » ؟ ..
ـ لست بطبعى فضوليا ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ هل تحدث اليك عنى ؟ ..
ـ لم أسمعه يتحدث عنك ..
ـ هل تمتلك مسدسا ؟ ..
ـ وماذا أصنع به ؟ ..
ـ أليس لديك ما تقوله لى ؟ ..
ـ لا شيء على الاطلاق ..
ـ وانت يا آنسة ؟ ..
ـ لا شيء .. شكرا لك ..

وتأهب الاثنان للخروج .. ولما بلغا الباب استوقفهما « ميجريه » وقال :

ـ سؤال أخير ..
ـ تفضل ..
ـ فى الوقت الحاضر هل لديك نقود ؟ ..
ـ قلت لك انى بعت لوحة لمسز « ويلكوكس » ..
ـ فى الاسبوع الماضى ؟ ..
ـ نعم ..
ـ هل صعدت على ظهر يختها ؟
ـ نعم .. بضع مرات ..
ـ وماذا يصنع الناس الذين يعيشون على ظهر اليخوت ؟
ـ لا أدرى ..

وسكت الشاب الهولندى قليلا ، ثم قال بشيء يسير من الازدراء :

ـ ... أثمة سؤال آخر ؟

وهز « ميجريه » راسه سلبا .. وخرج العشيقان ..

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الخامس

وظيفة فخرية

ولابد أن « ليشار » لم يضطر للذهاب الى بعيد كى يجد المسيو « اميل » .. فها هو واقف مع « ليشار » فى الظل على قيدخطوات قلائل من قاعة البلدية ..

والمسيو « اميل » يبدو اكبر سنا من أعوامه الخمسة والستين .. ويبدو أيضا شديد الوهن ، يتحرك بحذر كبير كأنه يخشى أن يتحطم . ويتكلم بصوت منخفض كأنه يقتصد فى كل خردلة من طاقته الحيوية ..

ــ ادخل ياسيد اميل .. لقد التقينا من قبل على ما اظن ؟

ولما كان ابن جاستين يرمق احد المقاعد بنظرة ، فقد قال له « ميجرية » :

ــ اجلس .. هل كنت تعرف « مارسلان » ؟

ــ معرفة جيدة ..

ــ هل كنت على اتصال مستمر به ؟.. ومنذ متى ؟..

ــ لا أستطيع أن أحدد بالضبط منذ كم ســـــنة .. ولعل امى تستطيع ان تذكر التاريخ بالضبط ، لان جينيت تعمل لحسابنا ..

وساد الصمت برهة .. كان صمتـــــا من نوع غريب ، وتبادل « ميجريه » ومستر « بايك » النظرات ألم يكن مستر « بايك » هو الذى سأل « ميجريه » عندما غادرا باريس ان كان قد أستقصى اخبار « جينيت » .. ثم أدهشة أن كبير المفتشين لم يفكر فى ذلك الاستقصاء ..

أما الان فلا حاجة للاستقصاء فهاهو المسيو « اميل » يقول

www.ibtesamah.com/vb

بكل بساطة كل شيء و يذكر اسم تلك المرأة التى تولى « ميجريه » منذ سنوات ارسالها الى المصح ..

ـ تقول انها تعمل لحسابكم ؟ .. ان هذا يعنى فيما اظن أنها تعمل فى بيت من بيوتكم ..

ـ نعم .. فى بيتنا الذى بمدينة نيس ..

ـ لحظة واحدة من فضلك يامسيو « اميل » .. لقد انقضت خمس عشرة سنة على الاقل منذ قابلتها انا . ولم تكن فتاة صغيرة فى ذلك الحين ، بل كانت اذا لم تخنى فراستى قد تجاوزت يومئذ الثلاثين . وكان السل عاملا على مضاعفة أثر السن .. فهى الان لابد أن تكون ...

ـ فيما بين الخامسة والاربعين والخمسين .. انها هى التى تتولى ادارة بيتنا المسمى « دار الحوريات » فى مدينة نيس ..

واجتهد « ميجرية » الا ينظر الى ناحية مستر « بايك » حتى لا يحمر وجهه . وارتسمت أمام مخيلته صورة واضحة لبائعة الهوى المريضة بذات الصدر حين انتشلها وبعث بها الى المصح .. كانت نحيلة هزيلة الى درجة ان « ميجرية » كان يعجب للرجال كيف تستهويهم امرأة كهذه ذات عينين محمومتين وعظام بارزة .

لقد قال لها يومئذ :

ـ لابد لك من علاج شامل يافتاتى ..

فأجابته بخضوع تام :

ـ ليس احب الى من هذا ياسيدى كبير المفتشين .. ولا تظن أنى أستطيب الحياة التى احياها ...

ونفض « ميجرية » عن ذهنه هذه الصورة القديمة ، وقال بصبر نافد وهو يحدق فى وجه المسيو « اميل » :

ـ أواثق انت انها نفس المرأة ؟ لقد كانت فى ذلك الوقت مهدمة من أثر السـل .

ـ لقد واظبت على العلاج سنوات ..

ـ وهل كانت مقيمة مع « مارسلان » ؟..

ـ بل قلما كانت تراه .. فهى كما تعلم مشغولة جدا . فكانت

www.ibtesamah.com/vb

ترسل اليه حواله ماليه بين الحين والحين .. مبالغ صغيرة طبعا فهو لا يحتـــاج الى الكثير ..

ـ وهل كان من عادته أن يذهب لمقابلتها فى نيس ؟

ـ لااظن ذلك .. فدار الحوريات مؤسسة على مستوى عال .. وربما كنت تعرفها ان كنت قد ذهبت الى نيس ..

ـ وهل من اجلها جاء « مارسلان » الى هذه المنطقة ؟

ـ لا ادرى .. فقد كان شخصا غريب الاطوار ..

ـ وهل « جينيت » فى نيس الآن ؟

ـ انها اتصلت بنا تليفونيا من هاير هذا الصباح بعد أن قرأت عن الحادث فى الصحف . وهى الآن فى هايير للاشراف على الجنازة

ـ وهل تعلم أين تنزل هناك ؟..

ـ فى فندق النخيل ..

ـ هل كنت فى « سفينة نوح » ليلة الجريمة ؟

ـ ذهبت الى هناك لأشرب قدح الينســون كما هى عادتى ..

ـ وقد غادرت الخان قبل « مارسلان » ؟

ـ طبعا .. فأنا لا أتأخر عن النوم فى الساعة العاشرة ..

ـ هل سمعته يتحدث عنى ؟..

ـ ربما .. ولكنى لم ألق بالا .. ثم أنا ثقيل السمع قليلا ..

ـ وما هى علاقتك بـ « شارلو » ؟

ـ أعرفه .. ولكنى لا أقابله كثيرا ..

ـ لماذا ؟..

وبدأ الحرج بوضوح على وجه المسو « اميل » كأنه بازاء مسألة دقيقة

ـ اننا لسنا من مستوى واحد ..

ـ ألم يسبق له العمل لحساب والدتك ؟

ـ ربما كان قد قام مرة أو مرتين بتوريد فتيات لها ..

ـ وهل كانت معاملاته معها مستقيمة ؟..

ـ أظن هذا ..

ـ وهل كان « مارسلان » يورد أيضا فتيات ؟

ـ كلا .. انه لم يشتغل بهذا ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ الاتعرف شيئا عن الجريمة ؟
ـ لاشيء مطلقا .. فأنا لا أكاد أشغل نفسى الان بالعمل ، لان صحتى لا تسمح لى بذلك ..
ترى ماذا كان يفكر فيه مستر « بايك » ؟ مارأيه فى هذا كله ؟ وهل هناك أشباه للمسيو « اميل » فى انجلترا أيضا ؟
ـ اعتقد انى ربما ذهبت وتجاذبت الحديث مع والدتك ..
ـ على الرحب والسعة ياسيدى ..

***

وفى هذه المرة كان « ليشار » فى الخارج مع شاب يرتدى بنطلونا من الفانلة البيضاء وقميصا أزرق مخططا بخيوط بيضاء وقبعة من قبعات اليخوت . ودخل « ليشار » مع الشاب قائلا :
ـ المسيو « فيليب دى موريكور » .. نزل الى البر توا باللنش
وقال الشـــاب لـ « ميجريه » :
ـ أتريد أن تتحدث الى ؟..
وكانت سنه نحو الثلاثين .. وكان مظهره على خلاف المنتظر غير جميل ..
ـ أريد أن أوجه اليك بضعة أسئلة ..
ـ أظنها اجراءات شكلية ؟..
ـ اجلس ..
ـ هل هذا ضرورى ؟ انى اكره الجلوس ..
ـ استمر واقفا اذن .. هل انت سكرتير مسز « ويلكوكس » ؟
ـ انه لقب اسمى .. أو وظيفة فخرية فقط . ولك أن تقول انى ضيفها ، وانى أقوم بحكم الصداقة أحيانا بعمل السكرتير ..
ـ هل تقوم مسز « ويلكوكس » بكتابة مذكراتها ؟
ـ كلا .. ولماذا هذا السؤال ؟
ـ هل تقوم هى بأى عمل له صلة بمصنع الويسكى الذى تملكه ؟
ـ كلا .. مطلقا ..
ـ هل تكتب لها خطاباتها الخاصة ؟
ـ لاأدرى ما الذى ترمى اليه بهذه الاسئلة ؟
ـ لا شيء يامسيو « موريكور » ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ « دى موريكور » من فضلك ..!
ـ كما تريد .. كنت فقط أريد أن أكون فكرة دقيقة بعض الشيء عن عملك ..
ـ ان مسز « ويلكوكس » لم تعد فى مقتبل العمر ..
ـ بالضبط !..
ـ لم أفهم ماذا تقصد بهذا ..
ـ لابأس .. والآن خبرنى يامسيو « دى موريكور » .. أين تعرفت بمسز « ويلكوكس » أول مرة ؟
ـ هل هذا تحقيق ؟..
ـ لك أن تسميه ما تشاء ..
ـ وهل أنا ملزم بالاجابة ؟..
ـ فى استطاعتك أن تنتظر الى أن استدعيك رسميا ..
ـ وهل انا مشتبه فى امرى ؟ ..
ـ كل انسان هنا مشتبه فيه وغير مشتبه فيه ، فى الوقت نفسه !

وفكر الشاب برهة ثم ألقى بسيجارته من النافذة المفتوحة وقال :

ـ قابلتها أول مرة فى كازينو مدينة كان ..
ـ منذ زمن طويل ؟..
ـ منذ أكثر من سنة بقليل ..
ـ وهل أنت مقامر ؟..
ـ كنت مقامرا ..وهكذا فقدت اموالى ..
ـ وهل كان لديك أموال كثيرة ؟..
ـ هذا السؤال يبدو لى خارج الموضوع ..
ـ هل كان لك عمل من قبل ؟..
ـ كنت ملحقا بمكتب أحد الوزراء ..
ـ وهل كانت لك معرفة بالشاب « دى‌جريف »؟..
ـ جاء الى اليخت بضع مرات .. واشترينا منه لوحة
ـ تعنى طبعا ان مسز « ويلكوكس » اشترت منه لوحة ..
ـ تماما ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ وهل كان «مارسلان» يحضر أيضا الى « كوكب الشمال » يخت مسز « ويلكوكس » ؟

ـ أحيانا ..

ـ ضيفا ؟ ..

ـ من الصعب تحديد وضع زياراته .. وعلى كل حال مسز « ويلكوكس » كريمة جدا . .

ـ يخيل الى هذا ..

ـ كل شيء موضع اهتمامها .. ولا سيما البحر الابيض المتوسط الذى تحبه .. ولشواطىء هذا البحر شخصيات طريفة فريدة . « ومارسلان باكو » كان بلا ريب شخصية من شخصيات الشاطىء الفريدة . .

ـ هل كان يقدم اليه الشراب ؟..

ـ كل من يأتى الى « كوكب الشمال » يقدم اليه الشراب ..

ـ وهل كنت فى « سفينة نوح » ليلة الجريمة ؟

ـ كنا هناك ومعنا الميجر ..

ـ شخصية اخرى طريفة من شخصيات الشاطىء

ـ مسز « ويلكوكس » تعرفه من انجلترا .. والصلة بينهما اجتماعية ..

ـ هل كنتم تشربون الشمبانيا ؟ ..

ـ الميجر لا يشرب سوى الشمبانيا ..

ـ وهل كنتم ثلاثتكم فى غاية المرح ؟..

ـ كان سلوكنا لائقا للغاية ..

ـ هل اشترك « مارسلان » معكم ؟..

ـ كل انسان كان يعتبر مشتركا الى حد ما .. الم تقابل الميجر « بللام » بعد ؟ ..

ـ لن يطول بلا ريب حرمانى من هذا الشرف ..

ـ انه السخاء بعينه .. فحينما يأتى الى « سفينة نوح»..

ـ وهل يأتى الى هناك كثيرا ؟..

ـ جدا .. وكلما جاء حرص على تقديم الشراب للجميع ، فيأتى كل انسان ليشرب معه كأسا .. وله مدة طويلة فى هذه الجزيرة

www.ibtesamah.com/vb

بحيث يعرف معظم الاطفال بأسمائهم الاولى ..
ـ اذن « مارسلان » جاء الى مائدتكم تلك الليلة وشرب قدحا من الشمبانيا ..
ـ كلا .. لقد كان يمقت الشمبانيا ، ويقول انها لا تصلح الا للفتيات .. فجاءوه بزجاجة من النبيذ الابيض !
ـ وهل جلس معكم ؟..
ـ بالطبع ..
ـ وهل كان هناك آخرون جالسين الى مائدتكم ؟«شارلو» مثلا ؟
ـ نعم ..
ـ هل تعرف مهنته .. ان جاز تسميتها مهنة ؟
ـ انه لا يحاول أن يخفى حقيقته .. ولكنه شخصية طريفة أيضا !
ـ وبهذا الاعتبار دعى أحيانا الى اليخت ؟.
ـ انى لا أكاد أعرف فى الجـــزيرة أى شخص لم يحضر الى اليخت ..
ـ حتى المسيو « اميل » ؟..
ـ الا هذا ! ..
ـ لماذا ؟..
ـ لا أدرى ولا أظن اننا تحدثنا اليه مرة واحدة ، فهوشخص منعزل متوحد ! .
ـ لا يشرب ؟..
ـ انه لا يشرب .. ولعل هو السبب ..
ـ وانتم طبعا تكثرون من الشرب على ظهر اليخت ؟..
ـ احيانا .. واظن هذا امرا جائزا ؟
ـ وهل كان « مارسلان » على مائدتكم عندما شرع يتكلم عنى؟
ـ ربما .. أنا لا أتذكر على وجه التحديد . كل ما أتذكره انه كان يروى الحكايات كما هى عادته ، ومسز « ويلكوكس » كانت تحب أن تسمعه وهو يروى الحكايات . وكان فى تلك الليلة يتكلم عن ذكريات السنوات التى قضاها فى اصلاحية الرجال
ـ انه لم يذهب مطلقا الى اصلاحية الرجال ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ لابد اذن فى هذه الحالة أنه اخترع القصـــة ..

ـ ليدخل السرور والتســـــلية على مسز « ويلكوكس » .. واثناء حديثه عن السجن جاء ذكرى فى القصة ؟ فهل كان سكرانا؟

ـ لايمكن ان يعتبر مفيقا تماما فى اى وقت .. ولا ســيما فى المساء .. انتظر ! اذكر انه قال ان الحكم كان بسبب امرأة ..

ـ اسمها « جينيت »؟

ـ ربما .. أظن هذا هو الاسم ، وأعتقد انه زعم انك شملتها برعايتك اثناء سجنه وعندئذ قال أحد الجالسين كلمـــة تعريض بك ،فانبرى «مارسلان» يتغنى بمناقبك وصاح .. «ميجريه،صديقى .. والصـــديق عندى شىء مقدس » واذا لم تخنى الذاكرة كان «شارلو » يستثير غيظه بهذا الخصوص . فازداد حنق«مارسلان»

ـ هل تستطيع أن تخبرنى كيف انتهت المناقشة ؟

ـ من العسير أن أخبرك .. فقد كان الوقت متأخرا جـدا ..

ـ ومن كان الاسبق فى الانصراف ؟

ـ لا ادرى .. فان « بول » صاحب «سفينه نوح» كان قد اغلق الابواب قبل ذلك بوقت طويل وجلس معنا الى مائدتنا ..وشربنا زجاجة أخرى ، وأظن اننا خرجنا معـــا ..

ـ من الذين خرجوا معكم ؟

ـ الميجر .. وقدتركنا فى الميدان ليعود الى داره . أما «شارلو» فقد بقى فى الخان لانه ينام باحدى حجراته .. وذهبت انا ومسز « ويلكوكس » الى المرسى حيث الزورق الذى ننزل به الى البر .

ـ وهل كان معكما نوتى ؟ ..

ـ كلا .. فاننا عادة نأتى وحـــدنا . ولكن رياح « المسترال » كانت تهب بعنف فى تلك الساعة ، فعرض علينا « مارسلان » أن يوصلنا ؟ ..

ـ اذن كان معكما عند الاقلاع فى الزورق ؟..

ـ لقد رفضنا أن يصحبنا .. وبقى على الشاطىء . ولابد انه عاد الى كوخه

ـ اذن بالاختصار أنت ومسز « ويلكوكس » اخر من رآه حيا ؟

ـ فيمـــا عـــدا القـــاتل طبعا .. !

www.ibtesamah.com/vb

ـ وهل وجدتما صعوبة فى العودة الى اليخت ؟
ـ من أخبرك ؟..
ـ لقد قلت الان أن البحر كان مضطربا !
ـ وصلنا مبللين بالماء .. وبلغ ارتفاع المياه فى الزورق ست بوصات
ـ هل أويت مباشرة الى فراشك ؟..
ـ أعددت شربا ساخنا لتدفئتنا ، ثم جلسنا نلعب الورق ..
ـ وكم كانت الساعة عندئذ ؟..
ـ حوالى الثانية صباحا .. فنحن لا ننام مبكرين ..
ـ ألم تسمع شيئا أو ترى شيئا خلاف المألوف ؟..
ـ ان رياح « المسترال » كانت تمنعنا من سماع أى صوت على الشاطىء ..
ـ هل تنوى الذهاب الى « سفينة نوح » الليلة ؟..
ـ ربما ..
ـ شكرا لك .. مع السلامة ..

وبقى «ميجريه » ومستر « بايك » وحدهما دقيقة او دقيقتين يتبادلان النظرات . وكان احساس « ميجريه » الداخلى يدعوه الى ترك كل هذه الاسئلة التافهة والاسترخاء فى الشمس فوق احد مقاعد الميدان ليدخن غليونا ويرقب من يلعبون « السيجا » .. ثم يتمشى فى المرفأ بين الصيادين الذين يصلحون شباكهم ..ولكنه خشى ان يعتبر ذلك فضيحة لجدية الشرطة الفرنسية فى نظر هذا الانجليزى !

ـ اعتقد يامستر « بايك » أنكم فى انجلترا تديرون الاستجوابات بطريقة نظامية اكثر منا نحن الفرنسيين ؟ ..

ـ ليس دائما .. ومنذ عامين وقعت جريمة فى مصيف برائيون فذهب أحد زملائى وقضى هناك احد عشر اسبوعا فى خان صغير . وكل ما يصنعه هو قضاء النهار فى صيد السمك وقضاء الامسيات فى شرب البيرة مع أهل المنطقة !

وكان هذا بالضبط ما تصبو اليه نفس « ميجريه » ولكنه حرم نفسه من اشباع ميوله من أجل هذا الانجليزى بالذات !

www.ibtesamah.com/vb

فى تلك اللحظة دخل «ليشار» ساخطا لان الميجر رفض الحضور وقال ان على من يريده أن يذهب ليشرب معه كأسا ..

ـ ان هذا من حقه طبعا .. والان اتصل تليفونيا من « سفينة نوح » بفندق النخيل فى هايير ، واطلب هناك « جينيت» وقل لها انه يسرنى أن تأتى لنتحدث معا بعض الوقت ..

ـ والى اين انت ذاهب الان ؟ أين أجدك ؟ ..

ـ لاأدرى .. غالبا فى المرفأ ..

وخرج مع مرافقة الانجليزى من البلدية الى الميدان المشمس ..

ahmad2006771
www.ibtesamah.com/vb
حصريات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamah.com/vb

الفصل السادس

بقايا امرأة

اخترق « ميجريه » ومستر « بايك » الميدان على مهل .. وعيون الناس تقتفى أثرهما بنظرات قد يظنها البعض تنم عن التوجس أو عدم الثقة . ولكن الواقع أن الناس كانوا فى حيرة لا يدرون كيف ينبغى أن يكون السلوك فى وجود بوليسى شهير مثل « ميجريه » .. و «ميجريه» نفسه شعر بالغربة فى وسطهم ، ولكنه كان يعلم أنه لن يكون من العسير عليه أن يجعلهم يثوبون الى سجيتهم ويتكلمون بحرية ومن غير تحفظ ..

وقال « ميجريه » لصديقه الانجليزى :

ـ الا ترى أن الانسان يحس هنا ببعده عن الدنيا بعدا شاسعا يا مستر « بايك » ؟ انظر ان هذه فرنسا يبدو لنا شاطئها هناك ، ولا يستغرق الزورق فى العبور اليها أكثر من ثلث ساعة . ومع هذا أشعر أننى هنا ضائع تائه كأننى فى قلب أفريقيا أو فى أمريكا الجنوبية ؟

وتوقف بعض الاطفال عن اللعب ليتطلعوا الى الرجلين الغريبين .. ولما وصلا بازاء الجراند أوتيل ظهر لهما المرفأ ، واذا بالمفتش « ليشار » وقد لحق بهما ، وقال « لميجريه » :

ـ لم أستطع أن أتصل بها .. وجدتها سافرت ..

ـ هل عادت الى نيس ؟

ـ فى الغالب لا ..

ـ لماذا ؟ ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ لأنها قالت لكاتب الفندق أنها ستعود اليه غدا صباحا فى موعد تشييع الجنازة ..

وفى المرفأ كان كثيرون من الناس يرقبون وصول سفينة . فقال « ليشار » :

ـ هذه هى السفينة « كورموران » التى تقوم بخدمة هذا الخط بصفة دورية ، ومعنى هذا أن الساعة الآن قاربت الخامسة ..

وأقبل غلام على رأسه قبعة منقوش عليها بحروف مذهبة كلمتا « جراند أوتيل » ووقف ينتظر القادمين بجوار عربة صغيرة لنقل الأمتعة . واقتربت السفينة البيضاء الصغيرة . ولم يطل الوقت « بميجريه » وهو يتفحص النازلين منها كى يتعرف على سحنة امرأة . وقال « ليشار » :

ـ لعل هذه المرأة هى « جينيت » ، قادمة لمقابلتك .. فالجميع فى هاير يعلمون أنك هنا لتحقيق هذه القضية ..

وكانت المرأة التى يتحدثان عنها لها ملامح « جينيت » فعلا .. بيد انها بدينة جدا ذات مظهر محترم وثيابها كلها مصنوعة من الحرير ، وعلى وجهها مساحيق كثيرة ، وتفوح منها رائحة العطور..

وحدث « ميجريه » نفسه قائلا : حين التقيت بها منذ خمسة عشر عاما كنت أنا أيضا رشيقا . ولعلها حين ترانى الآن تصاب بمثل خيبة الامل التى اصابتنى بها !

وحاول مندوب الجراند أوتيل أن يستولى على حقائبها لولا أنها صاحت :

ـ الى « سفينة نوح » !

واتجهت نحو « ميجريه » مترددة فى القاء التحية . ولعل السبب فى هذا هو وجود المستر « بايك » الذى لم تسبق لها معرفته ..

ـ قيل لى انك هنا .. فخطر لى أنك ربما احببت أن تتحدث الى ...

ولم تحاول أن تتصنع الحزن العميق .. لقد انضجتها السنون ، فهى الآن رزينة هادئة متزنة الأعصاب وعلى شفتيها ابتسامة تدل على الثقة بالنفس

www.ibtesamah.com/vb

ـ وهل أنت نازل أيضا بخان « سفينة نوح » ؟

وحمل « ليشار » حقيبتها .. وبدا عليها وهى تمشى على مهل أنها تعرف البقعة جيدا .. وكانت تقول « لميجريه » :

ـ ان جريدة الاقليم تقول انه لقى مصرعه لمجرد انه ذكر اسمك على لسانه ودافع عنك .. فهل تصدق هذا ؟

وبين الحين والحين كانت تلقى نظرة استطلاع وتوجس على المستر « بايك » . فقال لها « ميجريه » :

ـ فى وسعك أن تتكلمى أمامه كما تشائين .. فهو صديق وزميل من انجلترا جاء ليقضى معى بضعة أيام ..

فألقت الى الانجليزى بابتسامة مهذبة راقية ، وتنهدت وهى تقول « لميجريه » وكأنها تلمح الى بدانته :

ـ لقد تغيرت أنا أيضا .. أليس كذلك ؟

وساور « ميجريه » العجب وهو يراها تعتصم بالحشمة والحياء، فتجمع ثوبها بيدها حول ساقيها وهى تصعد السلم ، لأنه كان يسير فى أثرها ويمكن أن يرى ساقيها من الثوب الواسع

وكان دخولها الى خان « سفينة نوح » فى ألفة من تدخل بيتها . وقالت بكل بساطة :

ـ هل بقيت لديك حجرة لى يا« بول » ؟

ـ سيكون عليك فى هذه المرة أن تقنعى بالحجرة الصغيرة المجاورة للحمام

وعندئذ التفتت نحو « ميجريه » وقالت له :

ـ هل تصعد معى برهة ؟

ولا شك أن هذه الكلمات كانت تبدو ذات معنى مزدوج فى بيت كالبيت الذى تشرف على ادارته فى نيس ، أما هنا فلا وجه لهذا الظن . ولما تردد « ميجريه » خشية أن يتوهم مستر « بايك» بأنه يخفى عنه شيئا من أطوار القضية وتفاصيلها ، ظهر عليها الاستياء. وابتسمت ابتسامة تكاد تكشف عن حرفتها الأصلية ، وقالت بدلال :

ـ لا خطر عليك منى كما تعلم ..

ونظر الانجليزى الى « ميجريه » وقال له :

ـ تفضل ..

www.ibtesamah.com/vb

وسبقتهما «جوجو» حاملة الحقيبة . وكان ثوبها قصيرا وواسعا بحيث استطاعا أن يريا الملابس الداخلية الصغيرة الحمراء رؤية كاملة . ولا شك فى أن هذا المنظر هو الذى أوحى الى « جينيت » بالاحتشام حين جمعت ثوبها بيدها وهى صاعدة أمام « ميجريه »

وفى الحجرة المخصصة لها لم يكن يوجد سوى فراش ومقعد واحد من الخيزران ، فهى أصغر حجرة فى البناء ولها نافذة واحدة فى السقف المائل

وخلعت « جينيت » قبعتها والقت بنفسها على طرف الفراش وهى تطلق زفرة ارتياح . وعلى الفور خلعت حذاءها ذى الكعب العالى للغاية ، وراحت تدلك أصابع قدمها المتعبة من فوق جوربها الحريرى .. ثم قالت :

ـ هل أنت مستاء لأنى طلبت منك أن تصعد معى ؟ .. لا يوجد فى الطابق الأسفل مكان نتحدث فيه . وليست لدى القوة على المشى .. انظر الى قدمى تجدهما متورمتين .. فى وسعك أن تدخن غليونك

وفطن « ميجريه » الى أنها ليست على سجيتها تماما ، وانها تتكلم لمجرد الكلام ، أى رغبة فى كسب الوقت :

ـ هل أنت ساخط على ؟

ومع أنه فهم مرادها تماما ، الا أنه أحب أن يعمد هو أيضا الى كسب الوقت فسألها :

ـ ولماذا ؟

ـ انى أعلم تمام العلم أنك تشعر بخيبة الأمل .. ولكن الذنب فى الواقع ليس ذنبى ، فبفضلك قضيت أسعد أيام حياتى فى ذلك المصح . ولم أشعر فى تلك السنوات بأى قلق ، ووجدت هناك طبيبا يشبهك كثيرا أظهر نحوى عطفا بالغا . وكان يشترى لى الكتب ، فكنت أقضى اليوم كله فى القراءة . وأنت تعلم أنى حتى الوقت الذى ذهبت فيه الى المصح كنت امرأة جاهلة ، فكلما استعصى على فهم شىء كان يشرحه لى شرحا وافيا .. هل معك سيجارة ؟ .. لا بأس .. فعلى كل حال من الأفضل لى الا أدخن .. فى ذلك المصح قضيت خمس سنوات ، وتعودت على الاقامة حتى داخلنى الاحساس بأنى

www.ibtesamah.com/vb

عشت طول عمرى هناك ، وأننى سأقضى بقية حياتى هناك أيضا . وارتحت لهذه الفكرة ، ولم اكن راغبة مثل سواى من المرضى فى مغادرته فى أول فرصة . فحين أبلغونى اننى شفيت وفى وسعى أن أرحل ، كان خوفى أشد وقعا على نفسى من فرحى بالشفاء . وكان المصح فوق قمة جبل ، والوادى من تحته مغطى بالضباب دائما وبالسحب الكثيفة أحيانا . وكنت خائفة أشد الخوف من الهبوط اليه ، ولم يكن أحب الى من البقاء فى المصح ممرضة أو مساعدة . ولكن الدراية والمؤهلات كانت تنقصنى . . ولم يكن عندى من العافية ما يؤهلنى لخدمة التنظيف أو الطهو . فماذا كان فى وسعى اذن أن أعمل ؟ لقد تعودت فى المصح أن أنال ثلاث وجبات كل يوم . وكنت أعلم اننى لن أحصل عليها الا بالعمل عند « جاستين » أو من هى على غرار « جاستين » . . فعملت عند « جاستين »

وقاطعها « ميجريه » بصوت بارد قائلا :

ـ لماذا جئت اليوم ؟

ـ ألم أخبرك ؟ لقد ذهبت أولا الى هايير ، فأنا لا أريد للمسكين أن يوارى التراب من غير أن يشيعه أحد الى مثواه . .

ـ الا تزالين على حبه ؟

فظهر عليها تحرج يسير وقالت :

ـ أظننى كنت أحبه فعلا كما تعلم . وكثيرا ما تحدثت اليك عنه فى أيامى الخوالى عندما توليت أمرى على أثر القائك القبض عليه . فلم يكن أخا سوء كما تعلم ، بل انه كان فى طوية نفسه برىء القلب حقيقة . . بل أكاد أقول انه كان خجولا حييا . وبدافع من خجله كان يتمنى أن يكون مثل الآخرين ، بيد أنه كان يتطرف ويبالغ

ـ هل أفهم من ذلك أنك كففت عن حبه ؟

ـ لقد اتسع أمامى الوقت فى المصح كى أفكر فيه ، وفى نفسى ، وفى حقيقة شعورى . . ففهمت كل شىء . ولم أستطع أن أظل على حبه بنفس الطريقة . كنت قد قابلت أناسا من مستويات أخرى فتيسر لى أن أعقد مقارنات ، وساعدنى الطبيب كثيرا على فهم الناس كما ساعدنى على فهم الكتب . .

ـ هل كنت تحبين ذلك الطبيب ؟

www.ibtesamah.com/vb

فضحكت ضحكة عصبية وقالت :

ـ أعتقد أن النزلاء فى كل مصحة يحبون أطباءهم المعالجين ..

ـ وهل كان « مارسلان » يكتب اليك ؟

ـ بين حين وآخر ..

ـ وهل كان فى مرجوه أن يستأنف معك حياتكما القديمة ؟

ـ أعتقد أنه كان يطمع فى ذلك فى بداية الامر .. ثم لم يلبث أن تغير هو أيضا كما تغيرت أنا.. شاخ بسرعة ، بين عشية وضحاها، ولا أدرى هل رأيته أم لا . ولكنه كان فيما مضى أنيقا معنيا بمظهره فخورا مزهوا ، فلما جاء الى شاطىء الريفييرا تغير فيه كل شىء ..

ـ هل هو الذى ألحقك بخدمة « جاستين » و « اميل » ؟

ـ كلا .. فقد كنت أعرف «جاستين» بالاسم فقط . فأرسلت اليها طلبا للاستخدام ، واستخدمتنى تحت التجربة مساعدة مديرة لأحد بيوتها ، لانى لم أكن أصلح لغير ذلك . فقد أجريت لى اربع جراحات فى المصح وجسمى كله ملىء بالندوب

ـ لقد سألتك ما الذى جاء بك اليوم ...

ـ عندما عرفت أنك تباشر بنفسك هذه القضية خطر لى أنك ستتذكرنى وتحاول أن تتصل بى .. وكل ذلك سيستغرق وقتا

ـ لقد فهمت من كلامك أن الصلة بينك وبين «مارسلان» انقطعت على أثر خروجك من المصح . ولكنك كنت ترسلين اليه حوالات مالية ، أليس كذلك ؟

ـ بلى .. فى بعض الاحيان ، لانى كنت أريد له أن يستمتع بحياته بعض الشىء .. فقد كانت تساوره رغم مظهره المرح نوبات سوداوية !

ـ هل أخبرك بهذا ؟

ـ كان يقول لى انه فاشل ، وانه كان طول حياته خائبا ولم يستطع أن يفلح فى شىء حتى فى الاجرام !

ـ هل قال لك هذا فى نيس ؟

ـ انه لم يأت لمقابلتى فى دار الحوريات مطلقا ، فقد كان يعلم أن هذا ممنوع ..

ـ هنا اذن ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ نعم هنا ..
ـ هل كنت تحضرين كثيرا ؟
ـ مرة كل شهر تقريبا ، لان «جاستين» مسنة جدا ولا تستطيع أن تمر على مؤسساتها بنفسها .. ومسيو «اميل» لا يحب الاسفار
ـ وهل كنت تبيتين هنا فى « سفينة نوح » ؟
ـ دائما ..
ـ لماذا لم تكن « جاستين » تعطيك حجرة فى فيللتها الفسيحة ؟
ـ انها لم تسمح مطلقا للنساء بالمبيت عندها ..
وشعر « ميجريه » أنه اقترب من النقطة الحساسة ، فسألها ضاحكا وهو يشعل غليونه :
ـ هل هى خائفة على ابنها ؟
ـ قد يبدو هـــذا غريبا .. ولكنها الحقيقة ، لانهـــا ربته على الالتصاق بها . ولهذا نشأ وشاخ بطباع امرأة لا بطباع رجل ، فهى حتى اليوم تعامله معاملة الاطفال ولا يستطيع أن يقدم على أى عمل بغير اذنها !
ـ وهل هو يحب النســـــاء ؟
ـ بل هو على الارجح يخافهن .. ثم هو ليس شديد اللهفة عليهن لان صحته كانت دائما ضعيفة ، وهو يقضى وقته كله فى العناية بنفسه وتعاطى الأدوية وقراءة الكتب الطبية
ـ وماذا ايضا غير ذلك « يا جينيت » ؟
ـ ماذا تعنى ؟
ـ لماذا جئت اليوم الى هنا ؟
ـ لقد أخبرتك ..
ـ لا ..
ـ ظننتك مشغول الذهن بأمر المسيو « اميـــل » ووالدته ..
ـ فسرى كلامك ..
ـ ان جميع رجال الشرطة يلقون شبهاتهم دائما على أشخاص من طراز معين ، فاعتقدت أنك ربما ..
ـ وانت تريدين أن تخبرينى بأن المسيو « اميل » لا علاقة له بمقتل « مارسلان » ؟
ـ وأردت أن أؤكد لك اننى رغم المودة التى بينى وبين «مارسلان»

www.ibtesamah.com/vb

لم يكن عندى أو عنده أى تفكير فى الحياة معا ، فقد أصبح يستطيب هذه الحياة التى اختارها لنفسه هنـــا . وقطع كل صلة له بعالم الجريمة .. انظر ! لقد رأيت « شارلو » الآن ...

ـ أتعرفينه ؟

ـ قابلته عده مرات ، وكنـــا أحيانا نتناول الطعـــام على مائدة واحدة . وقام بتوريد الفتيات لى !

ـ وهل كنت تتوقعين أن تجديه اليوم هنا ؟

ـ كلا .. واقسم لك اننى أقول الحق . ولكن لا أدرى لماذا يبدو عليك أنك لا تثق بكلامى

ـ هل تربحين مالا طائلا الآن ؟

ـ ليس بالقدر الذى قد يخطر ببالك . « جاستين » شحيحة جدا ، وكذلك ابنها .. وليس معنى هذا أنى خالية الوفاض . ولكنى فى الوقت نفسه لم أدخر ما يكفى للتقاعد

ـ انك كنت تحدثيننى عن « مارسلان » ..

ـ لا أذكر ماذا كنت أقول لك .. آه تذكرت . حينما كان فى باريس كان يتظاهر بالقوة والشراسة ويذهب الى المشـــارب التى يلتقى فيها بأناس من طراز « شارلو » .. بل وبالقتلة أيضا . وكان يحب أن يبدو وكأنه على شاكلتهم ، ولكنهم لم يأخذوه مأخذ الجد

ـ لانه كان خليطا من الانسان الشرير والانسان الطيب !

ـ ثم أقلع عن هذا كله ، ونفض يديه من كل أمل فى اثبات نفسه بين عتاة المجرمين وذوى السطوة . وعاش هنا فى قاربه أو فى كوخه يشرب بافراط ، وتساعده حوالاتى المالية على ذلك . وأنا اعلم ماذا يجول بذهن الناس عندما يسقط رجل من طرازه صريعا ..

ـ يعنى ... ؟

ـ أنت خير من يعلم ذلك .. سيتوهم الناس أنها « تصفيـــة حساب » قديم بين رجال العصابات ، أو عملية ثأر ، ولكن هـــذا خلاف الواقع ..

ـ هل هذا ماجئت حقيقة لتقوليه ؟ هل أنت حقيقة خائفة أن أشتبه فى العجوز وابنها ؟ ألست عاشقة « لشارلو » مثلا ؟

ـ كلا بالتأكيد ! فمن العسير على أن أحب أى انسان بعـــد كل

www.ibtesamah.com/vb

الجراحات التى أجريت لى .. لم أعد امرأة و « شارلو » لا يثير لدى اهتماما على الاطلاق

ـ أريد الحقيقة كاملة ..

ـ أقسم لك بشرفى انى لا اعلم من الذى قتل « مارسلان »

ـ ولكنك تعلمين من الذى لم يقتله ؟ ..

ـ نعم .. وأنا أعلم انه لا يمكن ان يخفى عنك الانسان شيئا ، وانك ستعرف الحقيقة بنفسك يوما من الايام ، ولهذا أحب أن تعرفها من لسانى منذ الآن . ولولا انك حاورتنى بخشونة لم أتوقعها منك لصارحتك من أول دقيقة .. أعلم اذن أنى سأتزوج مسيو « اميل » ! هل استرحت الآن ؟

ـ متى ؟ ..

ـ عندما تموت « جاستين » ..

ـ ولماذا الانتظار الى أن تموت ؟

ـ ألم أقل لك انها تفار من جميع النساء ، انه بسببها لم يتزوج حتى الآن .. بل ولم تعرف له عشيقة . وعندما كان يحتاج الى امرأة بين وقت وآخر كانت هى التى تنتقيها بنفسها ، وتحرص على ان تكون اقل الجميع شخصية وذكاء وخطرا . وفى السنوات الاخيرة انتهت هذه المسألة بالنسبة له تماما ..

ـ أى مسألة ؟ ..

ـ مسألة النساء والحاجة اليهن !

ـ ومع هذا يفكر فى الزواج ؟! ..

ـ ذلك انه يفزع من الوحدة .. انه مطمئن طالما هى على قيد الحياة ترعاه كأنه طفل . ولكنها بلغت من العمر عتيا ، ولم تبق لها من فسحة العمر الا سنة على الاكثر

ـ من أدراك ؟ ..

ـ انها مصابة بالسرطان ، وسنها لا تسمح باستئصاله ..

ـ ولهذا طلب منك ان تتزوجيه ؟

ـ نعم .. وذلك بعد أن تأكد من صلاحيتى التامة لرعايته صحيا .. وعرضنى على عدة اطباء للتأكد من خلوى من كل أثر لمرضى القديم . ولا حاجة للقول بأن « جاستين » لا تدرى شيئا

www.ibtesamah.com/vb

من هذا كله ، والا لكانت قد طردتنى منذ زمن طويل ..

ـ و «مارسلان» ؟ ..

ـ لقد أخبرته ..

ـ وماذا كان تأثير ذلك عليه ؟

ـ لا شيء .. بل أقرنى على أننى يجب أن أعمل لشيخوختى حسابا . واعتقد انه فرح لعلمه اننى سأعيش هنا ..

ـ ألم يكن مسيو « اميل » يفار من «مارسلان» ؟

ـ ولماذا يفار منه .. لقد قلت لك من قبل انه لم يعد بيننا شيء يستوجب غيرة « اميل »

ـ اذن حضورك الى هنا انما هو لنفى الشبهة عن «اميل» ، لاعتقادك اننى قد اتخيل «مارسلان» وهو يهدد «اميل »ويستخدم خطابى القديم لتخويفه حتى يبتعد عنك

ـ « مارسلان » لم يكن يهدد أحدا ، والمسيو « اميل » يفضل الموت جوعا على ان يذبح دجاجة ..

ـ وأنت طبعا لم تحضرى الى الجزيرة فى الايام الاخيرة ؟

ـ من السهل ان تتأكد من هذا ..

ـ لانك لم تغادرى تلك الدار فى نيس ؟ ياله من دليل !

ـ وهل أنا بحاجة الى دليل ؟ ..

ـ من كلامك أستطيع أن أتصور مارسلان عقبة فى طريق زواجك من المسيو « اميل » . والمسيو «اميل» صيد ثمين للغاية ، فهو اذا تزوجك سيترك لك ثروة طائلة جدا ..

ـ جدا .. واظن أننى كنت على صواب حين قررت الحضور لمقابلتك . فها أنت تتجه اتجاها خاطئا تماما ، مع اننى اعترفت لك بكل شيء وبصراحة تامة ..

وكانت عيناها تلمعان ، وكأنها مشرفة على البكاء ، وهى تقول :

ـ اصنع ما يحلو لك .. فأنا لا اعلم من الذى قتل «مارسل». أتنوى أن تقبض على حقا ؟

وكانت ابتسامتها الساخرة لا تستر قلقها ، رغم محاولتها الظهور بمظهر من لا تبالى . فقال «ميجريه» :

www.ibtesamah.com/vb

ـ ليس فى نيتى أن أقدم على هذا الآن ..

ـ هل أستطيع أن اذهب لتشييع الجنازة غدا صباحا ؟ سأعود ان شئت بعدها مباشرة ، وليس عليك سوى أن ترسل زورقا لاحضارى ..

ـ ربما سمحت لك بذلك ..

ـ ألن تقول شيئا لجاستين ؟

ـ كلا .. الا عند الضرورة القصوى ..

ـ هل أنت ساخط على ؟

ـ كلا بالطبع ..

ونهضت وهى تتنهد .. فنهض « ميجريه » وغادر الحجرة ليتركها تخلع ثيابها وتستريح ..

ahmad2006771
www.ibtesamah.com/vb
حصريات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamah.com/vb

الفصل السابع

زهرة الحب

نزل « ميجريه » الى قاعة البار ، فوجد لاعبى « السيجا » الذين كانوا فى الميدان قد فرغوا من مبارياتهم ، وتجمعوا يتحادثون بأصوات عالية ويشربون النبيذ الابيض . وفى أحد الاركان بالقرب من النافذة ، جلس مستر « بايك » الى مائدة وامامه الرسام الهولندى الشاب « جيف دى جريف » يلعبان الشطرنج باستغراق تام ..

وبجوارهما جلست « أنا » على مقعد تدخن سيجارة فى مبسم طويل للغاية ، وقد ارتدت ثيابها وهى عبارة عن فستان من القطن المطبوع كان من الواضح انها من تحته عارية تماما .. وجسمها رشيق ملتف ، وانوثتها واضحة المعالم والمفاتن بحيث لايتصورها الانسان لاول وهلة الا حيوانا جميلا ..

وكان « دى جريف » مرتديا بنطلونا من الفانلة رمادى اللون وقميصا أزرق به خطوط بيضاء وحذاء من القماش كالذى يرتديه جميع من فى الجزيرة ..

وتلفت « ميجريه » فيما حوله بحثا عن المفتش « ليشار» ولكنه لم يجده ، وقبل مكرها قدح النبيذ الذى قدمه اليه « بول » . وأخذ جميع من كانوا أمام البار يفسحون له بينهم مكانا . ورحب هو بذلك كى يزيل الحواجز بينه وبين هؤلاء الاهالى الذين لعلهم كانوا فى انتظاره منذ الصباح لينتهزوا هذه اللحظة كى يتعرفوا عليه .. ومعظمهم من صيادى السمك فيما عدا اثنين أو ثلاثة منهم ..

www.ibtesamah.com/vb

وسأله أحدهم وهو يشرب النبيذ :

ـ هل أعجبك نبيذ جزيرتنا ؟

ـ أعجبنى جدا ..

ـ ولكن الصحف تزعم انك لا تشرب الا البيرة . و «مارسلان» كان يؤكد لنا ان ما تزعمه الصحف غير صحيح ، وانك لا ترفض كأسا من الكلفادوس .. رحمة الله على المسكين «مارسلان» .. فى صحتك يا سيدى المفتش ..

وانبرى آخر يسأل « ميجريه » :

ـ هل صحيح انه كان صديقك ؟

ـ كنت أعرفه فى فترة من الفترات .. ولم يكن انسانا سيئا

ـ كلا بالطبع .. ولكن هل صحيح ما تزعمه الصحف انه من الهافر ؟

ـ طبعا صحيح ..

ـ بلكنة أهل الجنوب التى يتكلم بها ؟

ـ عندما عرفته منذ خمسة عشر عاما تقريبا لم تكن فى لسانه اى لكنة

ـ أسمعت هذا القول « يا تيتين » ؟ ألم يكن هذا هو رأيى ؟

وتوالت الانخاب فى دورات من الشراب بلغ عددها ستا . والعبارات والاسئلة تتناثر فى الهواء على غير هدى ، لمجرد الكلام، مثلما يقذف الاطفال الصفار كرتهم فى الهواءلمجردقذفهاوالاستمتاع بمنظرها .. !

وسأله « بول » فى الحاح عن اصناف الطعام التى يفضلها فى العشاء . وأكد له « ميجريه » انه يحب الاطعمة المحلية ولا يعدل بها شيئا ..

وكان « شارلو » جالسا فى الشرفة الخارجية وامامه كأس ، مشغولا بمطالعة صحيفة الاقليم . فلما رأى « ميجريه » سأله :

ـ هل كونت فكرتك ؟

ـ عن أى شىء ؟ ..

ـ عن الجريمة طبعا وعن الفاعل .. ان « مورانو » ذا اللحية صاحب المقهى العجوز الذى ولد فى هذه الجزيرة ولم يفادرها منذ

www.ibtesamah.com/vb

سبع وسبعين سنة لم يسمع بمثل هذه الجريمة فى حياته . كانت هناك حوادث غرق طبعا ، وحدث ذات مرة أن امرأة من الشمال حاولت منذ ست سنوات ان تنتحر بابتلاع أقراص منومة. وحدث أيضا ان نوتيا طعن آخر فى ذراعه أثناء مشاجرة . اما القتل فلم يقدم عليه احد من قبل ، لان جو الجزيرة يجعل الاشرار ودعاءمثل الحملان البريئة ..

وضحك الواقفون ، وتبارى كل منهم فى القهقهة والتعليق . وصاح احدهم :

ـ لن تدرك سر هذه الجزيرة الا بعد ان تقضى هنا بضعة أيام..

ـ بل ما يجب ان تفعله هو ان تأتى لقضاء أجازاتك هنا مع زوجتك . وسنعلمك لعب «السيجا» أليس كذلك يا«كازيمير» ؟ ان «كازيمير» هو الذى ربح بطولة الجنوب فى العام الماضى فى هذه اللعبة ..

وكان الغروب قد بدأ يكسو السماء بألوان مختلفة . وتناثر الحاضرون حول الموائد يلعبون الورق . وسأل « ميجريه » عن « ليشار » فقال له « بول » :

ـ لقد انصرف وانت فى الطابق العلوى .. ولم يقل أين هو ذاهب ، فهذه طريقته . وهو شخص بارع فى الاستقصاء . استطاع فى الثلاثة أيام التى قضاها هنا أن يعرف عن عائلات الاهالى كل ما اعرفه انا ..

ولما التفت « ميجريه » الى جهة صديقه الانجليزى وجده بمفرده ، فأدرك أن « دى جريف » وصاحبته انصرفا .. فقال له :

ـ سنتناول طعامنا بعد نصف ساعة ..

وعندئذ همس « بول » لـ « ميجريه » :

ـ أتظن هذا السيد الانجليزى يحب طهونا ؟

وطمأنه « ميجريه » ثم صحب ضيفه للنزهة سيرا على الاقدام. وقادتهما الطريق الى المرفأ وقد توارى قرص الشمس ، وخفتت جميع الاصوات الى حد كبير .. ولم يبق سوى صدى ارتطام الموج بالمرسى الصخرى . أما النباتات فاختلطت خضرتهابالسواد..

وقال « بايك » عن الرسام الهولندى الشاب :

www.ibtesamah.com/vb

ـ لقد هزمته بصعوبة .. انه حاذق جـــدا ، ويعجبنى على الخصوص انه هو الذى علم نفسه تلك اللعبة ..

ـ وهل كان هو الذى اقترح عليك المباراة ؟

ـ بل انا الذى وضعت امامى الرقعة لاقوم ببعض التمرين،قطعا للوقت ، وانت فى الطابق العلوى . ولم يخطر ببالى انى سأجـد من يلاعبنى .. ثم جلس هو الى المائدة المجاورة مع صـــديقته . وادركت من طريقة تطلعه الى قطع الشطرنج انه يريد ان يبارينى..

وساد الصمت بعد ذلك بين الرجلين ، وهما يسيران فوق المرسى. وبالقرب من اليخت الابيض كان هناك قارب صـــغير مكتوب عليه « زهرة الحب » .وهو زورق « دى جريف » وعشيقته . وكان الاثنان هناك لان النور كان ينبعث من تحت سقف القمرة الصغيرة التى لا تتسع الا لشخصين جالسين أو راقدين اما الوقـــوف فيها فمستحيل . وسمعا من هناك صوت ملاعق واطباق مما يدل على أن العاشقين يتناولان طعامهما ..

وبعد أن ابتعدا قليلا ، قال مستر « بايك » بدقته المعهودة :

ـ انه ذلك الطراز من الابناء الذى تكرهه الاسر العريقة . هذا النمط ليس موجودا بكثرة فى فرنسا ..

ـ ماذا تعنى ؟

ـ اعنى انهم فى بلادكم قد يسرقون او يرتكبون حماقات للحصول على نقود يستمتعون بها مع النساء أو يقامرون . ولكن الابنـــاء الفاسدين فى فرنسا لا يحسنون لعب الشطرنج مثلا ، ولا يقرأون « كانت » و «شوبنهاور» و «نيتشه » و «كيرجورد » . ان الولد الفرنسى الفاسد كل همه أن يعيش ملء حياته من غير ان ينتظر الميراث الرسمى . أما «دى جريف » فليس على هذه الشاكلة . فأنا لا اظن انه يحب المال او يريد الحصول عليه ، وانما هو فوضوى متمرد على كل القيم التى نشأ على تقديسها .. فهو ابن المستشار الذى يكره القضاء والقضاة ، وابن الام الثرية الذى يحتقر الثراء والنسب العريق ، وابن هولندا المتمرد على تقاليد وطنه وعاداته .

وفجأة احمر وجه مستر « بايك » وتلعثم قليلا وقال :

ـ عفوك .. فأنا لم أجاذبه من الحديث الا طرفا يسيرا . ولكن

www.ibtesamah.com/vb

اظننى قد فهمته حق الفهم .. فلدينا فى انجلترا كثيرون علىغراره من أبناء البيوتات . واعتقد أن امثاله يوجدون فى كل بلد متشدد فى الاخلاق والتقاليد . ولهذا السبب قلت لك الآن أن الانسان لا يلتقى بكثيرين من امثال هذا الشاب فى بلادك فرنسا . ففى فرنسا لا تشدد فى مظاهر الاخلاق ، ولهذا فلا نفاق .. !

ولم يدر « ميجريه » ما الذى يعنيه بالضبط « بايك » .. أتراه يريد أن يلمح الى مظاهر التحرر والانحلال التى شوهدت بكثرة منذ وصولهما الى الجزيرة ، ممثلة فى أشباه المسيو « اميل » و « شارلو » و «جينيف » ، ممن يعيشون بين شرفاء الناس دون ان يصادفوا اى لون من الوان التعريض او التشهير او التجريح ؟.

واستاء « ميجريه » وساورته الرغبة فى الدفاع عن وطنه . ولكن مستر « بايك » استطرد بكل هدوء يقول :

ـ مثل هذا الشاب يمكن ان يسموا بجماعة المحتجين أو الساخطين .. انهم يرفضون كل شىء جملة من غير تمييز بين الجيد والردىء والخبيث والطيب . انظر الى « دى جريف » مثلا تجده قد انتزع فتاة صغيرة من أسرتها الثرية الشهيرة ، وهى فتاة حلوة لذيذة مشتهاة . ومعهذا لا اظنه قد انتزعهالمجرد الاشتهاء.. بل لانها من عائلة عريقة محافظة ثرية ، نشأت على التدين وكانت تذهب مع أمها الى القداس صباح كل أحد .. ووالدها رجل طاهر السمعة شديد المحافظة على النبل والاستقامة . وكان انتزاعها مغامرة كبرى ومجازفة خطيرة .. أظن ان هذه هى حقيقةنفسيته، ولكن ربما ايضا اكون مخطئا ..

ـ لا أظنك مخطئا ..

ـ هناك أشخاص اذا وجدوا وضعهم انيقا نظيفا سليما ركبهم شيطان افساده وتنفيصه ، ومن هذا الطراز « دى جريف » .. انه يريد أن يدنس نظافة حياته .. ويلوث كل شىء . حتى فتاته يريد ان يلوثها ويدنسها ، وبغير هذا لا تهدأ نفسه

واستولت الدهشة الشديدة على « ميجريه » .. دهشة بلغت حد الذهول . فها هو مستر « بايك » وقد ذهب تفكيره الى عين ما ذهب اليه هو . فعندما اعترف «دى جريف» بأنه ذهب عدة

www.ibtesamah.com/vb

مرات الى يخت « كوكب الشمال » ، خطر « لميجريه » على الفور انه لم يكن يذهب الى هناك لمجرد احتساء الشراب الذى يقدم بافراط ، بل لان هناك علاقات بين الزوجين لا يقرهاالعرف والخلق، علاقات مخزية شاذة ..

واختتم مستر « بايك » رأيه قائلا :

ـ مثل هؤلاء الاشخاص فى غاية الخطورة .. وهم فى الغالب نهب لتعاسة شديدة رغم كل شىء !

وساد صمت ثقيل الوطأة .. واحس « بايك » بذلك فقطعه قائلا :

ـ انه يتحدث الانجليزية بطلاقة تامة كأهلها . وليست فى لسانه لكنة أجنبية ، ولا يدهشنى ان اكتشف انه كان تلميذا فى احدى مدارسنا العامة

وكان وقت العشاء قد ازف .. وقد مرت اكثر من نصف ساعة منذ غادرا «سفينةنوح»،فهاهو الظلام قد خيم،والقوارب المشدودة الى المرسى تتراقص مع انفاس البحر التى يعلو بها صدره ويهبط. وافرغ « ميجريه » غليونه .. وعند مرورهما بزورق الهولندى عنى بتفحصه . .

ترى هل كان مستر « بايك » يتكلم لمجرد الكلام ؟ ام تراه قد بدأ يكون فكرة عن القضية واراد أن يوحى بتلك الفكرة اليه ..

كان من الصعب على « ميجريه » ان يتكهن . وها هو « بايك» يعيد كلمته :

ـ مثل هؤلاء الاشخاص فى منتهى الخطورة ..

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الثامن

أنباء

صعد « ميجريه » الى حجرة نومه بعد العشاء ليغسل أسنانه ويديه وترك باب الحجرة مفتوحا .. فجاءت « جوجو » ووقفت فى فرجة الباب . ولم يسمع صوت قدميها لانها تسير بخفة .. ولم يدر كم يبلغ عمرها . ربما كانت فى السادسة عشرة أو فى العشرين ، ولا شك أن « ميجريه » كان يبهرها بشخصيته وشهرته ..

ـ ألديك ما تقولينه لى يافتاتى ؟

فدخلت واغلقت الباب بهدوء .. وهو أمر لم يكن يستريح اليه ، فأنت لا تدرى ماذا يمكن أن يخطر بأذهان الناس . وهو لا يستطيع أن ينسى وجود زميله الانجليزى فى الخان ..

وقالت الفتاة وقد أحمر وجهها :

ـ أريد أن أكلمك بخصوص « مارسلان » .. فقد تحدث الى طويلا بعد ظهر يوم من الايام ، وكان فى حالة سكر شديد .. وخطر لى أن حديثه فى ذلك اليوم يمكن أن يكون ذا فائدة لك ..

ـ ماذا قال ؟ ..

ـ قال انه لو أراد لحصل على رزمة كبيرة هكذا ..

ـ رزمة من أى شىء ؟

ـ من أوراق البنكنوت طبعا !

ـ وهل حدث هذا منذ زمن طويل ؟

ـ قبل مقتله بيومين فيما أظن ..

ـ هل كان أحد غيره فى المقهى ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ لم يكن هناك سواى .. فالكل ينامون بعد الغداء أما أنا فكنت أنظف البار ..

ـ وهل أخبرت أحدا بهذا الحديث ؟

ـ لا أعتقد ذلك ..

ـ وهل قال شـــيئا آخـــر ؟

ـ قال أيضـــا : « ولكن ماذا أصنع بهـــذه النقود ياصـــغيرتى « جوجو » ؟ ان الاقامة هنا لطيفة للغاية » ..

ـ طارحك الفـــرام ؟

ـ لم يحـــاول ذلك اطلاقا ..

ـ والآخرون ؟ ..

ـ كلهـــم تقريبـــا ..

ـ متى كانت « جينيت » تأتى الى هنا ؟

ـ كانت تأتى مرة كل شهر تقريبـــا ..

ـ هل كان « مارسلان » يصعد لزيارتها فى حجرة نومها ؟

ـ كلا بالتأكيد .. بلّ كان يعاملها باحترام فائق ..

ـ هل أستطيع أن أتحدث اليك بصراحة يا « جوجو » ؟

ـ طبعا .. فأنا فى التاسعة عشرة ..

ـ حسنا .. هل كان « مارسلان » على علاقات بنساء

ـ طبعا ..

ـ فى الجزيرة ؟ ..

ـ أول كل شىء مع « بينا » .. وهى بنت عمى ، وهى تفعـــل هذا الشىء مع كل انسان .. ويبدو أنها لا تستطيع مقاومة هـــذا الميل

ـ وهلّ كان يجتمع بها فى زورقه ؟ ..

ـ أو فى أى مكان .. انها لا تبالى ..

ـ ومن أيضـــا ؟ ..

ـ ومع أرملة « لا مبير » وهى صاحبة مقهى . وكان أحيـــانا يقضى الليل معها .. وحين يتفق له أن يظفر ببعض ذئاب البحر كان يذهب بها اليها . ولا مانع الآن بعد أن مات « مارسلان » أن ابوح لك بسر .. كان يصيد السمك بالديناميت وهو ممنوع قانونا !

ـ ألم يكن هناك تفكير فى زواجه من ارملة « لا مبير » ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ لا أظن أنها كانت تفكر فى الزواج ..

وابتسمت « جوجو » ابتسامة فهم « ميجريه » أن أرملة « لامبير » ليست شخصا عاديا .. وعندئذ قال لها :

ـ هل هذا كل ماهناك يا « جوجو » ؟

ـ نعم .. ومن الافضل الآن أن أنزل ..

وفى الليل عندما رقد على فراشه لم يسرع اليه النوم .. وكان موقنا أن « جينيت » غير نائمة أيضا ، فهى مستلقية فى فراشها وبينهما حاجز رقيق للغاية حتى أنه كان يسمع تنفسها . وانقضى وقت طويل قبل أن تستغرق فى النوم .. وخطر له أنها ربما كانت تكتب خطابا ، أو لعلها كانت تدلك وجهها بالكريم !

وسمع خطوات مستر « بايك » فى الدهليز جملة مرات وهو ذاهب الى دورة المياة ، فقد شرب الانجليزى الكثير من الشمبانيا مع ذلك الميجر « بللام » . وارتفعت الكلفة بين الانجليزيين لاول وهلة كأنهما صديقان قديمان . وجلسا وحدهما فى ركن .. وأمر الميجر «جوجو» باحضار زجاجات الشمبانيا الواحدة تلو الاخرى .

والميجر لا يشرب الشمبانيا فى الكؤوس الصغيرة المخصصة لذلك الشراب الفاخر ، بل فى أكواب كبيرة مثل الاكواب التى تستعمل فى شرب البيرة .. وهو جندى من الطراز القديم ، أحمر الوجه ، فضى شعر الرأس والشاربين .. وله عينان واسعتان صافيتان ، ولا يفارق السيجار الكبير شفتيه ..

انه « غلام » عجوز فى السبعين أو الثانية والسبعين من عمره ، وفى عينيه بريق شيطنة الاطفال .. وصوته أجش من اثر الافراط فى التدخين واحتساء الشمبانيا . ولكن قدرته على الشرب غير محدودة ، فظل بعد أن تجرع بضع زجاجات منها فى منتهى الاتزان والوقار ..

وفى فترة من فترات السهرة ، قال مستر «بايك» لـ «ميجريه»:

ـ أتأذن لى أن أقدم لك الميجر « بللام » ؟ لقد اكتشفنا أننا كنا طلابا فى نفس المدرسة

ولم يكن ذلك طبعا فى نفس الصف أو نفس السنة ، ولا فى نفس العقد من السنين . وكان واضحا ان انتماء الشيخ والشاب الى

www.ibtesamah.com/vb

مدرسة واحدة خلق بينهما رابطة من الألفة بعثت فى نفسيهما السرور البالغ ..

وبين الحين والحين ، كان الميجر يصدر اشارة لاتكاد تلحظ الى «بول» أو «جوجو » .. فيكون ذلك كافيا من غير كلام لاحضار زجاجة شمبانيا جديدة . وبين حين وآخر ، كان يصدر اشارة أخرى تحضر على أثرها « جوجو » وتصب من الزجاجة كوبا كبيرا تأخذه وتقدمه الى أحد الجالسين بالقاعة ..

وكانت حركاته رشيقة لطيفة بحيث لا توحى بالتعالى ولا تجرح شعور جلسائه .. فحينما يصل الكوب الى المقصود به كان الميجر يرفع كوبه الى أعلى ويشرب نخبا صامتا يحيى به ضيفه من حيث هو جالس ..

والى هذه القاعة حضر كل من فى الجزيرة تقريبا .. وظل «شارلو» طول السهرة يعبث بآلة بيع الفواكه ويضع فيها النقود بسخاء . وما كان هذا ليضيره وهو الذى يحصل فى النهاية على ايرادها كله

وذهبت أفكار « ميجريه » وهو راقد يتقلب على فراشه لتحوم حول « جينيت » .. واعترف لنفسه انه كان قاسيا عليها فى الحديث . فان ما انتهت اليه من اختيار أسلوب معين لحياتها من شأنها وحدها ، ولا ينبغى أن يكون له فيه دخل . وأما أنها عمدت الى الكذب فمسألة كان ينبغى الا تثيره ، لأن هذا النمط من النساء — حتى أقلهن ميلا للشر — يكذبن على البديهة ومن غير قصد .. فالكذب عندهن سليقه مثل التنفس ، يقدمن عليه من غير أن تكون لهن به حاجة أو داع ..

وأحس أنها لم تزل تكتم عنه أشياء ، وأن هذا فى الغالب هو الذى أقض مضجعها ومنعها من النوم ..

وسمعها تستيقظ وتغادر فراشها ذات مرة .. وتسير على الارض حافية القدمين ، فهل تراها تفكر فى الحضور اليه ؟ ..

ان هذا ليس مستحيلا .. وبدا « ميجريه » يعد نفسه لارتداء بنطلونه الذى كان ملقى بجوار الفراش على الارض .. ولكنها لم تحضر ، بل سمع رنين زجاج .. فعلم أنها قامت لتروى عطشها ، أو لعلها تناولت حبه منومة .. !

ولم يكن « ميجريه » قد شرب طول السهرة سوى كوب واحد

www.ibtesamah.com/vb

من الشمبانيا . أما بقية الوقت فكان شرابه النبيذ الابيض ثم كوبا من العرق ، لا يدرى لماذا شربه . ترى من الذى أمر له بهـــذا العرق اللعين !

آه ! انه طبيب الاسنان . أو هـو على الاصح طبيب اسنـان متقاعد غاب اسمه عن باله . وهو شـــخصية أخرى طريفة من شخصيات هذه الجزيرة العجيبة . ومع هذا فمن يدرى ؟.. لماذا يكون أهل هذه الجزيرة هم الاشخاص الاسوياء ، ويكون سـكان الشاطىء الاخر ، شاطى فرنسا وأوربا ، هم المجانين ؟

ان طبيب الاسنان العجوز لابد انه كان شخصا محترما للغـاية فيما مضى من عمره .. انيقا جدا فى مظهره ، لأن عيادته كانت فى أرقى موقع بمدينة بوردو .. وأهل بوردو متشددون جـــدا فى المظاهر

وذات مرة جاء هذا الطبيب العجوز ليقضى عطلته فى الجزيرة. وبعد انتهاء عطلته عاد الى بوردو ، ولكنه لم يمكث هناك سـوى أسبوع واحد هو أقل مدة تلزم لتصفية جميع أعمـــاله هناك ، ورجع الى الجزيرة ليقيم فيها الى الأبد !

انه الآن لا يلبس ياقة قميصه طول العام .. ويترك شعـــره مسترسلا على قفاه ، ولا يحلق لحيته الا مرة كل أسبوع .. انه الان قد أهمل كل شىء ، لا ملابسه فقط وشعره ، بل وأظافر يديه أيضا . وهو لا يقوم بأى عمل الا القـراءة فى مقعد هزاز فى ظـل شرفته المطلة على البحر ..

وتزوج فتاة من بنات الجزيرة لعلها كانت فيما مضى جميلة .. أما الآن فهى بدينة للغاية ، ولها شارب واضح ، وصـــوت مثل صوت الحداة يجرح الأذن !

انه الان سعيد .. أو هكذا يدعى ! وقد بدا له « ميجريه » أن للجزيرة سحرها الخاص على من يفدون اليها . قال :

ــ لو أنك بقيت هنا مدة كافية لاصابتك العدوى ، ولم تستطع أن تعود الى عالمكم الذى تسمونه عالم الحضارة والمدنية !

وكان « ميجريه » يعلم ان هناك جزرا فى المحيط الهادى لهـا هذا التـأثير على الرجل الابيض . فكم من أوربى أو أمريكى أقام

www.ibtesamah.com/vb

هناك ورجع الى حياة الفطرة مثل سكانها السود أو السمر .. ولكن لم يكن ليخطر ببـــاله أن هذا يمكن ان يحدث على مدى ثلاثة أميال من ساحل فرنسا !

وروى له طبيب الاسنان أيضا أن هنـاك طبيبا باطنيـا أصيب بسحر الجزيرة فأقام هناك أيضا .. فقال له « ميجريه » :

ـ أظنكما صـــديقين ..

ـ بل نحن لا نلتقى مطلقـــا ..

وعلم ان ذلك الطبيب الباطنى جاء الى الجزيرة مستشفيا .. وهو رجل أعزب لايهتم الا بصحته ويعيش فى بيت صـغير يزرع حوله حديقة كبيرة حافلة بالازهار ويقوم بخدمة بيته بنفسه . . وبسبب اعتلال صحته لا يخرج ليلا ، حتى ولو فى حالات الاسعاف وفى الشتاء حين يشتد البرد نسبيا يظل أسابيع بطولها لا يغـادر البيت .. !

ان كل انسان فى هذه الجزيرة يعرف الآخـرين عن كثب .. فليست هنـاك رسـميات ولا فوارق . والميجر الانجليزى الذى تعلم فى أرقى مدارس انجلترا يقف على قـدم المساواة مع متشرد مثل « مارسلان » أو أفاق مثل « شارلو » !

وطول السهرة كان المسيو « أميل » و « جينيت » جالسـين بهدوء الى مائدة واحدة صامتين ، وكأنهما زوجان قديمان ينتظران القطار فى مقصف المحطة . وأمر المسيو « اميل » بقدح الينسون المعتاد .. وطلبت « جينيت » كأسا من النعناع . وبين الحين كانا يتبادلان كلمة أو كلمتين بصوت خافت . ولم يكن من المسـتطاع أن يسمع أحد ما يخوضان فيه من حديث . وبعد قليـل نهضت « جينيت » وأحضرت رقعة الضامة وآخذا يتباريان

وخطر ببال « ميجريه » أن الزمن عند هؤلاء الناس لا حسـاب له .. وكل يوم هو نسخة من الامس ومن الغد ، وأنه لو عاد الى الجزيرة بعد خمس سنوات لوجد طبيب الاسنان جالسـا أمام كوب العرق ، يبتسم ابتسامته هذه بعينها ، وهى ابتسامة يمتزج فيها الرضى بعدم الاكتراث .. ولوجد « شارلو » يعبث بآلة بيع الفواكه ، والميجر يشرب الشمبانيا وعيناه تغمضان !

www.ibtesamah.com/vb

لا أجد هنا أحدا فى عجلة من أمره .. بل يبدو ان أحدا لايتخيل ان لكلمة الغد وجود .. فحتى « جوجو » حينما لا يكون لديها خدمة تقدمها للعملاء تضع ذقنها على كفها وتشرد ببصرها فى لا شىء ..

و « بول » فى ثياب الطهاة يطوف بالموائد ويلاطف العملاء .. وزوجته القصيرة ذات الشعر الاشقر والملامح القاسية جالسة فى ركن بعيد منهمكة فى ضبط حسابات الخان ..

وقال « ليشار » لـ « ميجريه » :

ـ هكذا الحال فى كل ليلة بلا استثناء ..

ـ وسكان الجزيرة الاصليون ؟ أعنى الصيادين ؟ ..

ـ انهم قلما يغادرون بيوتهم بعد العشاء .. فهم يخرجون الى البحر مع الفجر ولهذا ينامون مبكرا . وقد يأتون الى « سفينة نوح » بعد الظهر أو فى الصباح .. أما فى المساء فمن شاء السهر منهم ذهب الى مقهى آخر لسماع الاذاعة . وفيما عدا هذا لايهتم الناس بشىء ، وحياتهم على وتيرة واحدة .

ahmad2006771
www.ibtesamah.com/vb
حصريات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamah.com/vb

الفصل التاسع

حيرة

كان الجو حارا ـ داخل الغرفة ـ على الرغم من النافذة المفتوحة .. و « جينيت » لم تزل تتقلب فى فراشها لايواتيها النوم . وخطوات مستر « بايك » تصل الى سمع « ميجريه » ـ وهو ذاهب للمرة الرابعة الى دورة المياه ـ وما أخبث هذا الانجليزى ! .. فهو يعانى الان من تأثير الصورة التى رسمها للهولندى الشاب ، ولا يستطيع أن يراه الا فى ذلك الضوء .. مع أن هذه الصورة لم يرض عنها « ميجريه » كثيرا

ظل « ميجريه » طول السهرة ينظر الى الهولندى من خلال عينى « بايك » . والفتى جالس هناك مع عشيقته « انا » التى داعبها النعاس ، فجعلت تلقى بنفسها على كتف صاحبها و «دى جريف» لا يكلمها .. وهو واثق أنه لم يعودها على تجاذب الحديث معه ، بل كان يعتبر نفسه الذكر والقائد الذى يجب أن تتبعه وتنقاد له بخضوع ، وان تنتظر فى صمت أن يفصح عن رغباته وارادته

وطوال السهرة كان « دى جريف » ينظر فيما حوله ، ويرقب ما يدور بانتباه .. وما أشبه وجهه النحيل للغاية بحيوان من الضوارى التى تكمن فى الغاب ، وهى دائما على أهبة للانقضاض

ولم يكن الباقون حملانا وديعة بريئة .. بيد أن «دى جريف » لم يكن هناك شك فى أن طبيعته هى طبيعة الضوارى .. فهو يتنسم الهواء كما تتنسمه الضوارى . وكان هذا التنسم لازمته المتكررة ، يصغى الى ما يقال من حوله ثم يتنسم ولا يقول شيئا !

www.ibtesamah.com/vb

وعندما سأل « ميجريه » ذلك الرجل الطيب النشيط « ليشار » عن مسز « ويلكوكس » وصاحبها قائلا :

ـ ألا يأتى سكان « كوكب الشمال » الى هنا كل ليلة ؟ .

ـ انهما يأتيان الى هنا كل ليلة تقريبا .. بيد أنهما قد يأتيان فى وقت متأخر .. وحينما يكون البحر هادئا والقمر ساطعا يأتيان فى زورق صغير ..

ـ وهل مسز « ويلكوكس » والميجر صديقان ؟

ـ انهما يتحاشيان التحدث معا .. وكل منهما ينظر الى الآخر وكأنه غير موجود !

وأدرك « ميجريه » علة هذا التباعد .. فهما من بيئة اجتماعية واحدة ، وكل منهما هجر وطنه ليقيم فى هذه الجزيرة ويطلق لنفسه العنان فى خلع العذار . ولاشك فى أن الميجر يشعر بحرج شديد لانه يسكر على مرأى من مسز « ويلكوكس » .. فالسادة المهذبون فى بلاده يسكرون بمعزل عن السيدات خلف أبواب مغلقة !

ولاريب فى أن مسز « ويلكوكس » أيضا لم تكن تشعر بغاية الزهو والافتخار بصاحبها « موريكور » بين سمع ذلك الضابط المتقاعد وبصره ...

وحينما دقت الساعة احدى عشرة دقة حضر الاثنان .. وأصيب « ميجريه » بخيبة أمل ! فلم تكن تشبه فى شىء الصورة التى زوقها خياله عنها .. كان يظنها سيدة راقية ، فاذا به يرى أمامه امرأة نصفا ممتلئة الجسم ذات شعر أحمر ـ يدين بحمرته لمصادر صناعية ـ وصوتها الاجش يشبه فى خشونته صوت الميجر «للام»، الا أنه أعلى طبقة من صوته . وكانت ترتدى ثوبا من الكتان الرخيص، بيد أنها تزين عنقها بعقد ثلاثى من اللؤلؤ النفيس . وفى اصبعها ماسة ضخمة يشع منها « النور » !

ومن أول نظرة عرفت « ميجريه » وميزته .. ولابد أن « فيليب دى موريكور » قد روى لها ماكان بينه وبين «ميجريه» من حديث فى قاعة البلدية .. فمنذ جلست وهى تحدجه بنظراتها ، ثم تتناقش فى أمره بصوت منخفض مع رفيقها ..

ترى ما الذى كانت تقول ؟ ..

www.ibtesamah.com/vb

أتراها كانت تراه كما يراها ثقيلا سوقيا ؟ . أتراها كانت تتخيله قبل أن تراه شبيها بنجوم الشاشة البيضاء ؟ . أتراها تظن مظهره لا ينبى عن فرط الذكاء ؟

وكانت تشرب مع رفيقها الويسكى مع النـذر القليل جدا من الصودا . وكان « فيليب » يقوم على خدمتها كمن شمر عن ساقيه وساعديه .. وكانت مراقبة « ميجريه » اياه تثير أعصابه .. فهو بطبيعة الحال لا يستريح كثيرا لظهوره أمام عينى كبير المفتشين أثناء قيامه بأعباء وظيفته علنا ..

وأما هى فكانت تتعمد تكليفه بخدمتها ، فبـدلا من أن تنـادى « جوجو » أو « بول » ، كانت ترسل عشيقهـا ليحضر لها كوبا نظيفا أو ليشترى لها السجائر .. وذات مرة أرسلته الى الخارج والله وحده يعلم فيم أرسلته ! ..

انها حريصة بمسلكها معـه أن تؤكد سلطـانها على وريث آل « موريكور » الكرام .. وفى الوقت نفسه أن تبـدى للناس أنها لا تشعر بالخجل من سلوكها الشائن ..

وكانت الانجليزية وصاحبها قد أومآ بالتحية الى « دى جريف » ورفيقته ، ولكنه ايماء خفى كالاشارات التى يتبادلها « الماسونيون »!

وكان الميجر ــ على خلاف ما توقعه « ميجريه » ــ هو أول من غادر الخان ، محتفظا بوقاره وان كان يترنح قليلا .. وسار مستر « بايك » معه جانبا من الطريق . وعلى أثره انصرف طبيب الاسنان .. وترك « شارلو » الآلة الموسيقية التى تبيـع الفواكه ، وجلس على مقعد قريب من لاعبى الضامة . وأشار بلعبـة أو لعبتين على « جينيت » . ولما نهض المسيو « اميل » منصرفا ، أوى « شارلو » أيضا الى فراشه وبقيت « جينيت » ساهرة كأنها فى انتظار الاذن من « ميجريه » .. ولما لم يبد حركة ، اتجهت نحو مائدته وهمست وهى تفتر عن ابتسامة يسيرة :

ــ ألم تزل ساخطا على ؟ .

وكان واضحا جدا أنها مجهدة .. فنصحها بالتوجه الى مخدعها كى تحظى بالنوم . وصعدت وصعد هو على أثرها مباشرة ، اذ خطر له أنها ربما توجهت الى حجرة « شارلو » ..

www.ibtesamah.com/vb

ولما داعب النوم جفنيه لاول مرة ، ومض فى ذهنه وهو بين اليقظة والحلم انه وقع على اكتشاف خطير .. ولكنه لم يستطع أن يحدد بالضبط ما هو هذا الاكتشاف . فقال لنفسه : يجب ألا أنسى هذا .. وينبغى أن أتذكر هذا الاكتشاف غدا صباحا ..

وهم أن ينهض من فراشه ويسجل الخاطر فى ورقة حتى يضمن عدم نسيانه فى الصباح .. ولكن أجفانه ثقلت وراح فى سبات !

واستغرق « ميجريه » فى النوم للمرة الثالثة أو الرابعة فى تلك الليلة . ثم استيقظ على أصوات انفجارات ، ووجد أشعة الشمس تغمر الحجرة .. وأخيرا أدرك أنها أصوات محركات قوارب الصيد وهى تخرج من المرفأ . وبعد قليل ساد الصمت .. فان جميع الصيادين يخرجون فى وقت واحد لالتماس الرزق ..

وساورته الرغبة فى النهوض وارتداء ثيابه والخروج الى الهواء الطلق ، ثم نظر فى الساعة فوجد أنها الخامسة صباحا .. والسكون سائد فى الخان وفى الميدان ، فأغلق عينيه واستسلم لفترة أخرى من النعاس . ولما فتحهما مرة أخرى كانت رائحة القهوة تملأ خياشيمه ، وأصوات غدو ورواح ترن فى الدهليز وفى الميدان

وعلى الفور تذكر أن هناك شيئا هاما كان يحرص على استرجاعه .. ولكن ذاكرته خانته ، ولعل للمرارة التى فى حلقه من أثر شراب العرق نصيبا فى تبلد ذهنه . ومد يده يلتمس زر الجرس ليطلب شيئا من القهوة تنعشه .. ولكنه لم يجد للجرس زرا !.. فارتدى بنطلونه وقميصه وخفا خفيفا ، ومشط شعره على عجل ، ثم فتح الباب . وقابلت خياشيمه رائحة قوية من العطر والصابون صادرة من حجرة « جينيت » . ولابد أنها كانت منهمكة فى « مراسم » زينتها ..

ألم يكن ذلك الاكتشاف الذى ظن بالامس أنه وصل اليه ذا علاقة بها ؟

ربما .. ولكنه ليس متأكدا ..

ونزل « ميجريه » الى قاعة البار ، فوجد بها المقاعد مكومة فوق الموائد والابواب مفتوحة ، ولا أحد هناك ولا فى الشرفة .. فاتجه الى المطبخ الذى بدا لعينيه لاول وهلة معتما ، فلم يستطع أن يتبين

www.ibtesamah.com/vb

فيه شيئا .. وصافح اذنه فى الظلام صوت يقول :

ـ طاب صباحك يا سيدى .. هل نمت نوما جيدا ؟

وكانت صاحبة ذلك الصوت هى « جوجو » فى زيها الاسود البالغ القصر الملتصق بجسدها .. ولم تكن قد غسلت وجهها بعد..

ـ ألك رغبة فى قدح من القهوة ؟

وانتقلت أفكاره فى تلك اللحظة الى مدام « ميجريه » التى لابد أنها تعد الآن الافطار فى مسكنهما بباريس والنوافذ المطلة على شارع « ريشار » مفتوحة .. وخطر له أن المطر لابد ينهمر الان فى باريس التى تركها والجو فيها بارد شبيه بجو الشتاء . ولكن من ينظر الى صفاء السماء فى هذه الجزيرة لا يكاد يصدق أن المطر ينهمر فى العاصمة ..

ـ هل أعد لك مائدة ؟

وماذا عساه يصنع بمائدة ؟ انه على مايرام هنا فى المطبخ ..وهى واقفة بقربه تطهو شيئا فوق الموقد ورائحته الطيبة تملأ الخياشيم. وهو لم يزل يقدح زناد فكره عسى أن يتذكر اكتشاف الليلة الماضية، وهو فى الوقت نفسه يجاذب « جوجو » أطراف الحديث من غير أن يفكر فيما يقول !

ـ ألم ينهض المسيو « بول » من نومه بعد ؟

ـ انه الان فى المرفأ . . ذهب الى هناك منذ فترة طويلة ، فمن عادته أن يذهب يوميا ليشترى من المرفأ ما يلزم للخان من الاسماك من أول قارب للصيد يعود من عرض البحر ..

ونظرت «جوجو » الى ساعة الحائط ، قالت :

ـ ان السفينة « كورموران » ستقلع بعد خمس دقائق ..

ـ وهل استيقظ أحد آخر سوى المسيو « بول » ؟

ـ مسيو « شارلو » ..

ـ وماذا يصنع الآن ؟ ..

ـ ذهب فى صحبة المسيو « بول » .. وكذلك خرج منذ ربع ساعة على الاقل صديقك الانجليزى . ولابد انه الان فى الماء ، فقد خرج فى ثياب الاستحمام والمنشفة تحت ابطه

آه .. لابد أن ذلك الاكتشاف له علاقة بـ « جينيت » . ولكنه

www.ibtesamah.com/vb

متصل فى عقله أيضا بـ « جوجو » . وهو يتذكر الآن انه وهو بين اليقظة والمنام قد استرجع صورة « جوجو » وهى تصعد السلم أمامهما ..

انه فى اليوم السابق كرر اكثر من مرة على « جينيت » سؤاله :

ـ لماذا جئت الى هنا اليوم ؟ ..

وراوغت « جينيت » وكذبت عليه عدة مرات .. فقالت فى مبدأ الامر أنها جاءت لمقابلته عندما علمت أنه فى الجزيرة ، واعتقدت أنه سيبعث فى طلبها .. وبعد قليل اعترفت بأنها مخطوبة على نحو ما الى المسيو « اميل » . ومعنى هذا انهااعترفت فىالوقت نفسه بأنها جاءت لتبرئته ، ولتؤكد لكبير المفتشين أن مخدومها لا علاقة له بمصرع « مارسلان » !

ولم يكن مخطئا كل الخطأ فى قسوته عليها .. لانها رضخت أمام الشدة ، وكشفت عن بعض نواياها .. ولكنها لم تكشف عما فيه الكفاية !

وظل « ميجريه » يشرب قهوته فى رشفات صغيرة بطيئة وهو واقف أمام الموقد ... وسألته « جوجو » :

ـ ألا تريد أن تأكل شيئا ؟ ..

ـ ليس الان ..

ـ بعد ربع ساعة يخرج الخباز من الفرن الدفعة الاولى من الارغفة الساخنة

وفى هذه اللحظة استرخت ملامح وجه « ميجريه » .. ولابد أن « جوجو » عجبت فى دخيلة نفسها لماذا بدأ يبتسم بعد شرود طويل لقد تذكر ! ..

ألم يقل «مارسلان» لـ «جوجو» شيئا عن رزمة كان فى وسعه أن يحصل عليها ؟

لقد كان ثملا حين قال لها هذا .. هذا أمر مؤكد . ولكنه كان فى أغلب أحواله ثملا . و « جينيت » كان من عادتها أن تزور الجزيرة مرة فى كل شهر تقريبا ، ولابد أنها أتت فى الشهر الماضى .. وهذا أمر يمكن التأكد منه . ومن الجائز أيضا أن « مارسلان » كان يراسلها ..

www.ibtesamah.com/vb

واذا كان فى وسع « مارسلان » أن يضـــع يده على تلك النقود الطائلة .. فمن الجائز أيضا أن شخصا آخر كان فى استطاعته أن يحصل عليها ، اذا كان مثلا يعرف عن مصدرها أو موضعها مايعرفه « مارسلان » ..

وظل « ميجريه » حيث هو .. وفنجان القهوة فى يده ، ونظراته موجهة الى فرجة الباب .. و « جوجو » ترمقه بنظرات الفضول

لقد زعم « ليشار » أن « مارسلان » لقى حتفه لانه كان كثير الكلام عن صديقه الكبير « ميجريه » .. وهو فرض يبـــدو لاول وهلة جائزا ..

وفى تلك اللحظة ، دخل الى المبنى المستر « بايك » عاريا تقريبا ومنشفته فى يده وشعره لاصق بجبينه .. ولم يشغل نفسه بتحية « بايك » بل انصرف الى ترتيب أفكاره . وكانت نقطة البداية هى افتراضه أن « جينيت » جاءت الى الجزيرة لانها تعرف بالضبط لماذا لقى « مارسلان » حتفه . وليس من الضرورى أنها جشمت نفسها هذا العناء لتحول دون اكتشاف الجانى . . فبمجرد زواجها من المسيو « اميل » ستحصل من الثروة على ماتشتهى وزيادة .. ولكن أمه العجوز ربما « تلكأت » فى الموت بالرغم من قرار الاطباء !

ولهذا فمن المعقول أن « جينيت » حريصـــة على امتلاك تلك الرزمة التى تحدث عنها « مارسلان » فورا .. ولعلها موجودة فى مكان ما ، وفى وسعها هذه المرة أن تنالها بالرغم من وجود « ميجريه» و « ليشار » ! ..

www.ibtesamah.com/vb

الفصل العاشر

الأخ الأصغر

كانت الساعة الثامنة الا ثلاث دقائق عندما قال « ميجريه » ببراءة :

ـ أظن « ليشار » لم يزل نائما بعد سكرة الامس ..

فقال « بايك » :

ـ لقد رأيته منذ قليل يصعد الى ظهر السفينة « كورموران ». واعتقد أن السفينة ستنتظر « جينيت » ..

وكان « ميجريه » قد نسى كل شيء عن جنازة « مارسلان » . ونسى أيضا بالطبع انه قال بالامس للمفتش « ليشار » :

ـ اذهب معها أنت لتشييع الجنازة .. وانت فاهم طبعا لماذا ستصحبها . ولا أزعم أن هذا سيؤدى الى شيء ، ولكنى أحب أن تسجل تصرفاتها . وربما حاول أحد أن يتحدث اليها خلسة . وقد ترى فى الكنيسة أو موكب الجنازة وجها يوحى اليك بشيء ..

وهو يتذكر الان تلك التعليمات .. ويفهم أيضا لماذا فتحت « جينيت » باب حجرتها وصاحت بأعلى صوتها من رأس السلم :

ـ صبى لى قدحا من القهوة يا « جوجو » .. ترى كم بقى أمامى من الوقت ؟

ـ ثلاث دقائق ياسيدتى ..

وفى هذه اللحظة ، دوى صوت صفارة السفينة ايذانا بقرب اقلاعها . وقال كبير المفتشين عندئذ :

ـ سأمشى معك حتى المرسى ..

وصحبها فعلا فى خفه وبغير ياقة .. فلم يكن أمامه وقت لارتداء

www.ibtesamah.com/vb

ثيابه . ولكنه أيضا لم يكن الشخص الوحيد الذى يبدو فى هذا الزى ، فمعظم الناس فى المرفأ كانوا هكذا . وهكذا أيضا ذهبوا بعد اقلاع السفينة لتناول كأس من النبيذ الابيض عند « بول » أو فى احد المقاهى . ولما رأى « ليشار » رئيسه نزل من السفينة وحياه ، وأخبره أن عددا كبيرا من الصيادين سيذهبون أيضا للاشتراك فى جنازة « مارسلان » ..

وألقى « ميجريه » نظرة على اليخت « كوكب الشمال » فوجده ساكنا لا حركة فيه .. وصعدت « جينيت » الى سطح السفينة فى ثياب سوداء وخمار أسود ورائحة عطر خفيف تفوح منها ،واقلعت السفينة على الاثر والناس يتطلعون الى الخط الابيض الذى ترسمه دواليبها فى البحر الهادىء كالحصير ..

وفى « سفينة نوح » وقف « بول » يقدم النبيذ الابيض لعملاء الصباح . وكان مستر « بايك » قد ارتدى ثيابه فجلس الى مائدة يأكل طعاما مطهيا على الطريقة الانجليزية من البيض واللحم المجفف. وشرب « ميجريه » كوبا من النبيذ .. ثم صعد الى حجرته وأخذ يحلق ذقنه أمام النافذة .. واذا بطرقة على الباب :

ـ من هناك ؟..

ـ هل أستطيع أن أدخل ؟ ..

وكان الطارق هو مستر « بايك » .. دخل وجلس فى المقعد الوحيد . ثم ساد صمت طويل ، قطعه « بايك » قائلا :

ـ قضيت شطرا طويلا من الليل أتجاذب الحديث مع الميجر .. هل تعلم أنه كان من أبرع لاعبى البولو عندنا ؟

ولابد أن « بايك » شعر بخيبة أمل كبيرة عندما وجد «ميجريه » لم يتأثر بهذا الخبر . فليس لديه الا فكرة غامضة جدا عن لعبة البولو .. فكل ما يعرفه عنها انها لعبة تؤدى من فوق ظهور الخيل ، وان فى غابة بولونيا أو فى « سان كلو » ناديا ارستقراطيا جدا لهذه اللعبة .. ولكن يظهر أن لها أهمية خاصة عند الانجليز ..

واستطرد « بايك » يقول :

ـ انه أخ أصغر ..

وكانت هذه الجملة تعنى الشىء الكثير عند « ميجريه » .. فهو

www.ibtesamah.com/vb

يعلم ان العائلات الكبيرة فى انجلترا يرث فيها الابن الاكبر اللقب والثروة كلها ، فيضطر الاخوة الاصغر منه الى شق طريقهم فى الحياة اما فى الجيش أو فى البحرية ..

ـ وأخوه الاكبر عضو فى مجلس اللوردات .. وقد اختار الميجر أن يكون ضابطا فى الجيش الهندى .. فذو الاسماء التاريخية العريقة يفضلون عدم الاقامة فى لندن الا اذا كانت لديهم موارد كافية للظهور والوجاهة . ومن يعملون فى الجيش الهندى يجدون تحت تصرفهم عددا كبيرا من الخيول ، ولعبة البولو تحتاج الى اسطبل عامر بالامهار ..

ـ ألم يتزوج الميجر قط ؟ .

ـ الاخوة الصغار قلما يتزوجون .. فلو أن « بللام » تزوج وانجب لاضطرته مسئوليات الاسرة الى التخلى عن خيوله ! ..

ـ وطبعا آثر هو الاحتفاظ بالخيول ؟ ! ..

ودهش « ميجريه » لان ذلك لم يكن موضع عجب على الاطلاق عند ضيفه الانجليزى الذى استطرد يحدثه عن الحياة فى الجيش الهندى القديم :

ـ وفى الامسية الحارة هناك ، فى الهند ، يتجمع الضباط العزاب فى النادى ولا يجدون لهم سلوى سوى شرب الخمر . وقد شرب الميجر كميات ضخمة فى شبابه .. والشراب السائد فى الهند بين الضباط هو الويسكى . ولم يشرب الميجر الشمبانيا الا عندما استقر فى هذه الجزيرة ، فتعلق بها ولم يعد يعدل بها شرابا آخر

ـ وهل أخبرك لماذا اختار الاقامة فى هذه الجزيرة ؟

ـ حدثت له مأساة أليمة هى أسوأ مايمكن أن يقع لرجل من طرازه ، فقد سقط من فوق أحد خيوله وظل ملقى فى فراشه ثلاث سنوات قضى نصفها فى « تابوت » من الجبس . فلما التأمت عظامه واصبح فى مقدوره المشى أيقن انه لم يعد فى استطاعته ركوب الخيل ! وهذا هو السبب ..

ـ فى تركه الهند ؟

ـ هذا هو السبب فى وجوده هنا .. وأنا واثق أنه حيثما يكون الطقس شبيها بطقس هذه الجزيرة ـ سواء فى البحر الابيض

www.ibtesamah.com/vb

المتوسط أو فى المحيط الهادى ـ ستجد كهولا على شـــاكلة هذا الميجر ، يعتبرهم الناس من ذوى الشذوذ . ولكن أين يستطيع مثله أن يعيش الا فى مكان كهذا ؟

ـ الا تساورهم الرغبة فى العودة الى انجلترا ؟

ـ ان مواردهم لا تسمح لهم بالحياة فى لندن حياة لائقة بمستواهم واسمهم العريق . وفى الريف الانجليزى ينظرون شـــذرا الى من تعودوا الشراب بافراط مثل الميجر « بللام »

ـ ألم يخبرك لماذا لايتحدث الى مسز « ويلكوكس » ؟

ـ لم تكن به حاجة الى أن يخبرنى ..

ولم يدر « ميجريه » هل يلح عليه فى السؤال ، أم أن مستر « بايك » يفضل الا يخوض كثيرا فى حديث مواطنته هذه ؟ ان مسز « ويلكوكس » بايجاز ليست بين النساء بالصورة المقابلة لصورة الميجر بين الرجال

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الحادى عشر

شارلو

كان المرفأ يبدو خاليا ـ الى حد كبير ـ بعد رحيل السفينة « كورموران » الى الشاطىء الآخر حيث تبدو وكأنها نقطة صغيرة بيضاء . ولاشك فى أنها ستعود محملة بأقفاص من الفاكهة والخضروات لحانوت العمدة وللشركة التعاونية ، وكمية من اللحم للجزار ، وزكائب البريد

وعلى اليخت الابيض كان البحارة مشغولين بالتنظيف والغسيل .. والى يمين المرفأ مسلك ضيق يصعد ربوة عالية فى قمتها كوخ له باب مفتوح . وعلى عتبة ذلك الباب جلس صياد ، وقد بسط أمامه شبكة صغيرة يرتق ما بها من ثقوب ..

وفى هذا الكوخ قتل « مارسلان » ..

وألقى المفتشان الانجليزى والفرنسى نظرة على الداخل .. فاذا فى وسطه اناء ضخم لغلى الشباك فى سائل بنى اللون يحميها من تأثير ماء البحر ..

ولابد أن « مارسلان » كان يستخدم القلاع القديمة حشية ينام عليها .. فهناك كمية كبيرة منها مطروحة على الارض . وفى الاركان والزاوية آنية فارغة من أوانى الطلاء والزيوت ومجاديف محطمة.

وسأل « ميجريه » الصياد الجالس بالباب :

ـ هل ينام أشخاص آخرون هنا ؟

ورفع الصياد رأسه عن الشبكة ، وقال بغير اكتراث :

ـ العجوز « بنوا » ينام هنا احيانا ، عندما يكون هناك مطر ..

ـ وعندما لا يكون هناك مطر ؟ ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ عندئذ يفضل النوم تحت السماء .. اما على مقعد من مقاعد الميدان أو على ظهر زورق من هذه الزوارق ..

ـ وهل رأيته اليوم ؟ ..

ـ كان هنا منذ برهة ..

وأشار الصيادالى درب محاذ للشـــاطىء على ارتفاع قليل ، وتظلله من احد جانبيه أشجار الصنوبر ..

ـ وهل كان بمفرده ؟

ـ أظن أن السيد الذى ينزل بخان « سفينة نوح » قد لحق به بعد قليل من سيره ..

ـ أى سيد ؟ ..

ـ ذلك الذى يرتدى بدلة من الكتان وقبعة بيضاء ..

انه « شارلو » ..

ـ وهل جاء من هذا الطريق ؟ ..

ـ منذ نحو نصف ساعة ..

***

ولم تزل السفينة «كورموران» تبدو وكأنها نقطة بيضاء وسط زرقة البحر .. ولكن هذه النقطة البيضاء أصبحت الآن اكبر قليلا عما كانت ، ومنفصلة انفصالا تاما عن الشاطىء المقابل .. وهنا وهناك وسط زرقة البحر زوارق صغيرة متناثرة ..

ونزل « ميجريه » ومستر « بايك » الى المرفأ مرة اخرى ،وأخذا يتمشـــيان كالامس على طول المرسى . وعنـــدما مرا أمام زورق الرسام الهولندى نظر « ميجرية » الى الداخل وأدهشه بعض الشىء أن يرى «شارلو» هناك منهمكا فى الحديث مع «دى جريف» .

ان مستر « بايك » يتبعه فى صمت .. فهل تراه يتوقع أن يحدث شىء ؟ أهو يحاول أن ينفذ الى أفكار « ميجرية » ؟..

وبعد أن وصل الاثنـــان الى نهاية المرسى ثلاث مرات ، كان « شارلو » لا يزال فى مكانه داخل الزورق المسمى « زهرةالحب» واخيرا صعد « شارلو » الى ســـطح الزورق ولوح بيده مودعا « دى جريف » ونزل الى المرسى .. واقترب منه « ميجريه » قائلا :

www.ibtesamah.com/vb

ـــ كنت أبحث عنك هذا الصباح ..
ـ آنى كما ترى لم اغادر الجزيرة ..
ـ هذا بالضبط ما كنت اريد ان اتحدث اليك بخصوصه .. فأنت قد أخبرتنى فيما اظن أنك اتيت الى هنا على نية تمضية يومين أو ثلاثة . ولولا مصرع « مارسلان » لرحلت .. وكان المفتش «ليشار» قد رأى أن يستبقيك ، ولكنى سأطلق لك الحرية
ـ شكرا لك
ـ وكل ما اطلبه منك أن تخبرنى أين أستطيع ان اجدك اذا احتجت اليك ..
ونظر « شارلو » الى طرف سيجارته المتوهج برهة كأنة يفكر ثم قال :
ـ ستجدنى فى « سفينة نوح » !..
وظهر العجب على وجه « ميجريه » وهو يسأله :
ـ الا تنوى أن تغادر الجزيرة اذن ؟..
ـ ليس فى الوقت الحاضر ..
ورفع رأسه ، ونظر نظرة ثابتة فى عينى كبير المفتشين ، ثم قال
ـ هل يدهشك هذا ؟ يخيل الى من يراك أنك مستاء لبقائى . ولكنى أظن أن بقائى فى الجزيرة شىء مسموح به !..
ـ ليس فى مقدورى أن امنعك من الاقامة .. ولكنى أعترف بأن الفضول يساورنى كى أعرف ماذا جعلك تغير رأيك ؟ ..
ـ ليست لى كما تعلم مهنة تشغل كل وقتى .. ليس لى مكتب ولا مصنع ولا موظفون ينتظرون عـــودتى .. الا توافقنى على أن الاقامة هنا لطيفة ؟
ولم يحاول « شارلو » أن يخفى عنه تهكمه ..!
وفى هذه اللحظة شوهد العمدة مقبلا نحو المرفأ يجر أمامه عربته الصغيرة التى ينقل بها ما تحمله اليه السفينة القادمة من البضائع. واقبل كذلك مندوب الجرائد أوتيل بكسوته ومعه حمال الفندق..
ان السفينة « كورموران » فى منتصف طريقها الان الى المرفأ ، وستلقى مراسيها بعد ربع ساعة على الاكثر ..
وسأل « ميجريه » « شارلو » فجأة :

www.ibtesamah.com/vb

ـ هل تحدثت حديثا طويلا الى العجوز « بنوا » ؟

ـ عندما رأيتك منذ قليل أمام الكوخ اعتقدت أنك ستوجه الى هذا السؤال . ولك طبعا أن تستجوب « بنو! » كما تشاء .. ولكنى أخبرك منذ الان أنه لايعرف شيئا عن الجريمة التى تهتم بها ، أو هذا على الاقل هو ما استطعت استخلاصه منه .. اذ ليس من السهل أن يتبين الانسان لغة هذا العجوز . ولكن ربما كنت أنت أسعد منى حظا فى ذلك ..

ـ هل تريد الوصول الى شيء معين ؟

ـ ربما كنت أرمى للوصول الى ماترمى اليه أنت !

وكانت هذه العبارة أشبه بالتحدى.. ولكنه تحد ألقى فى اسلوب المزاح

ـ هل تعرف لماذا قتل « مارسلان » يا « شارلو » ؟

ـ انى لا أعرف اكثر مما تعرفه أنت ..

ـ هل تحدثت اليك « جوجو » ؟ ..

ـ « جوجو » تتحدث الى أنا ؟ الا تعلم أن كلا منا يكره الآخر كالقط والكلب ؟

ـ هل فعلت بها شيئا أغضبها ؟ ..

ـ بل انها رفضت أن أفعل بها شيئا .. وهذا سبب مابيننا من نفور ..

ـ يخيل الى يا « شارلو » انه من الخير لك أن تعود الى الشاطىء الآخر ..

ـ وأنا مع احترامى الشديد لرأيك أفضل البقاء ! ..

وأقبل زورق خفيف من « كوكب الشمال » وفيه «موريكور » منهمكا فى التجديف . ولعله آت ليكون فى استقبال السفينة « كورموران » كى يسأل عن خطابات له أو لمسز « ويلكوكس » . وكانت نظرات « شارلو » تتعقب التفاتات « ميجريه » . فلما التفت نحو زورق الهولندى المسمى « زهرة الحب » بادره قائلا :

ـ انه شخصية غريبة .. ولكنه ليس هو !

ـ أتعنى أنه ليس قاتل « مارسلان » ؟ ..

ـ ان الانسان لايستطيع أن يخفى عنك شيئا .. ولكن قاتل

www.ibtesamah.com/vb

« مارسلان » لايعنينى أمره ، فلابد أن يكون مجنونا من يقتل شخصا بغير سبب . ولا سيما اذا كان القتيل مغرما بالتصريح لكل من يعيره سمعه بأنه صديق كبير المفتشين « ميجريه »

ـ وهل كنت فى « سفينة نوح » عندما قال « مارسلان » أنه صديقى ؟ .

ـ كان هناك أيضا جميع الناس .. و « مارسلان » بعد بضعة أكواب يكتسب صوته حدة ورنينا عاليا ..

ـ هل تعرف لماذا ذكر اسمى فى تلك الليلة بالذات ؟

ـ لقد كان أول سؤال سألته لنفسى عندما علمت بمقتله هو من الذى كان يكلمه « مارسلان » عندئذ .. أتفهم مرادى ؟

وكان « ميجريه » يفهم مراده تمام الفهم ..

ـ وهل استطعت أن تجد جواب هذا السؤال يا « شارلو » ؟

ـ كلا .. فلو أنى وجدته لركبت أول سفينة الى الشاطىء الآخر ..

ـ لم أكن أعلم عنك أنك مخبر جنائى هاو ..

ـ أنت تمزح ولاشك يامسيو « ميجريه » ؟ ..

وصمم « ميجريه » على أن يحمل « شارلو » على البوح بما عنده ..

ـ أنت تعتقد اذن أن « مارسلان » لم يقتل بغير سبب ؟

ـ هذا هو رأيى فعلا ..

ـ وهل تعتقد أن القاتل كان يحاول الاستيلاء على شىء فى حوزة « مارسلان » ؟

ـ لا انا ولا أنت نعتقد شيئا سخيفا كهذا ..

ـ أتعتقد اذن أن أحدهم كان يحاول اسكات لسانه لانه يعرف سرا خطيرا بالنسبة لبعض الناس ؟ ..

ـ لماذا أنت متلهف يامسيو « ميجريه » على معرفة ما أعتقده ، وأنت تعرف من المسألة مثلما أعرف ؟ .

ـ بما فى ذلك رزمة البنكنوت ؟

ـ بما فى ذلك رزمة البنكنوت يامسيو « ميجريه » !

وأشعل « شارلو » سيجارة ثم استطرد :

www.ibtesamah.com/vb

ـ وانت تعلم أن المال يثير اهتمامى .. هل ارتاح بالك الان ؟
ـ وهل لهذا كنت فى زيارة الهولندى هذا الصباح ؟
ـ ووجدته مفلسا تماما ..
ـ ومعنى هذا انه ليس هو ؟ ..
ـ ليس هذا ما أعنيه .. كل ما أعنى أن « مارسلان » لم يكن ليطمع فى الحصول على ذلك المال منه ..
ـ لقد أخرجت من حسابك الفتاة يا « شارلو » ..
ـ الفتاة « انا » ؟ .
ـ والدها واسع الثراء ..

وجعلت هذه الجملة « شارلو » يفكر قليلا ثم هز كتفيه .وكانت السفينة « كورموران » تدخل فى هذه اللحظة المرفأ . فقال « شارلو » :

ـ باذنك .. ربما كنت فى انتظار أحد

ولمس طرف قبعته بطريقة ساخرة وتحول الى المرسى .. وانصرف « ميجريه » الى حشو غليونه ، فقال مستر « بايك » :

ـ أعتقد أن هذا الفتى حاد الذكاء ..
ـ من العسير أن ينجح انسان فى مهنته تلك من غير أن يكون ذكيا ..

وبدأ تفريغ حمولة السفينة ، فلاحظ « ميجريه » أن مندوب « الجراند أوتيل » استولى على امتعة زوجين شابين أتيا لقضاءشهر العسل . وأن « شارلو » التقى بامرأة شابة نازلة من السفينة وصحبها صوب « سفينة نوح » .. فهو اذن كان ينتظرها ، ولابد انه اتصل بها تليفونيا فى اليوم السابق ليدعوها للحضور ..

ودعاه ذلك للتفكير فى اتجاه آخر .. فالمفتش « ليشار » حدثه من هنا منذ يومين تليفونيا ليخبره بمصرع « مارسلان » . وهو يعلم أن التليفون فى « سفينة نوح » مجاور للبار بحيث يسمع جميع الموجودين الاحاديث . ولهذا قرر أن يسأل « ليشار » فى هذا الخصوص

وكان الجميع الآن من قادمين ومستقبلين يتحركون صوب « سفينة نوح » لاحتساء النبيذ الابيض .. فقال « ميجريه » لـ « بايك » :

www.ibtesamah.com/vb

ـ اتحب نبيذ هذه الجزيرة الابيض ؟
وفهم « بايك » مراد « ميجريه » فقال :
ـ يسعدنى جدا ان اشرب كأسا منه الآن ..

وهكذا اتجه الاثنان أيضا نحو « سفينة نوح » . وكانت النوافذ كلها مفتوحة ، فاستطاع « ميجريه » أن يرى فى احـــدى نوافذ الطابق العلوى « شارلو » واقفا ومن ورائه الشـــابة التى كان فى استقبالها وهى تخلع ثوبها من فوق رأسها ..!

وجلس « ميجريه » و « بايك » فى الشرفة .. وعندئذ شاهدا مسيو « اميل » قادما نحو الميدان بخطوات قصيرة وعلى رأســه قبعة من القش ، متجها صوب مكتب البـــريد القائم عـــلى يسار الكنيسة . وكان باب المكتب مفتوحا وبداخله بضعـــة أشخاص ، ووكيلة المكتب منصرفة الى فرز الرسائل الواردة ..

وجاء « بول » بزجاجتين من النبيذ الابيض ، فسأله «ميجريه»:
ـ هل تعرف المرأة التى صعدت مع « شارلو » الى حجرته ؟
ـ انها صاحبته ..
ـ وهل هى فى خدمته ؟ . .
ـ لا أظن ذلك .. انها فى الغالب راقصة أو مغنية فى ناد ليلى بمدينة مرسيليا . وهـــذه ثالث أو رابع مرة تأتى فيهـــا للاجتماع به هنا ..
ـ وهل كلمها تليفونيا بالامس ؟ ..
ـ نعم أمس بعد الظهر عندما كنت أنت فى حجرتك ..
ـ أتدرى ماذا قال لها ؟
ـ قال لها بكل بساطة : تعالى نقضى معا نهاية الاسبوع .. وقبلت على الفور
ـ وهل كان « شارلو » و « مارسلان » صديقين ؟
ـ لا أتذكر أننى رأيتهما معا على انفراد ..
ـ أحب أن تتذكر بدقة ، فهذه نقطة هامـــة .. ففى تلك الليلة عندما ذكر « مارسلان » اسمى ..
ـ أعرف مرادك .. ان المفتش « ليشار » ألقى على هذا السؤال بعينه ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ أظن أن الزبائن كانوا فى بداية تلك الليلة جالسين الى موائد مختلفة مثل الامس ؟ ..

ـ نعم فالسهرة تبدأ دائما هكذا ..

ـ أتعرف ماذا حدث بعد ذلك ؟ ..

ـ أدار أحدهم الحاكى .. ولا أذكر بالضبط من هو ، فشرع الهولندى وصاحبته يرقصان .. وأنا أذكر هذا جيدا لانى لاحظت على الفتاة أنها تركت نفسها تسترخى تماما بين ذراعيه كأنها دمية من القماش ..

ـ وهل رقص أحد سواهما ؟ ..

ـ مسز « ويلكوكس » والمسيو « فيليب » وهو راقص بارع ..

ـ وأين كان « مارسلان » فى تلك اللحظة ؟ ..

ـ يخيل الى أنه كان عند البار ..

ـ هل كان ثملا جدا ؟

ـ ليس جدا .. ولكن بما فيه الكفاية . انتظر .. أذكر الان أنه ألح على مسز « ويلكوكس » أن تراقصه ..

ـ « مارسلان » ؟ .. وهل قبلت ؟ ..

ـ رقصا معا بضع خطوات .. ولابد أن « مارسلان » تعثر . وكان من عادته أن يمثل دور المهرج اذا كان هناك جمهور . ولما قام من سقطته أمر بالشراب لجميع الحاضرين على حساب مسز « ويلكوكس » . وشرب « مارسلان » كوبا من الويسكى من زجاجة مسز « ويلكوكس » ثم طلب نبيذا أبيض ..

ـ والميجر ؟ ..

ـ كنت أفكر فيه الآن .. كان جالسا تلك الليلة فى الركن المقابل . وأنا أحاول الان أن اتذكر من الذى كان معه تلك الليلة .. أظنه « بوليت » ..

ـ ومن « بوليت » ؟ . .

ـ انه صاحب الزورق الاخضر .. ويأخذ السائحين فى الصيف ليطوف بهم حول الجزيرة ، ويرتدى دائما قبعة قبطان

ـ وهل هو قبطان ؟ ..

ـ انه أدى خدمته العسكرية فى الاسطول .. وصل الى رتبة

www.ibtesamah.com/vb

صول بحرى . وكثيرا ما يصحب الميجر الى طولون ، وكان طبيب الاسنان يشرب أيضا معهما . وبعد ذلك شرع « مارسلان » يتنقل بين الموائد وفى يده كوبه ، يمزج فيه الويسكى بالنبيذ الابيض

ـ ومتى بدأ يتحدث عنى ؟ والى من ؟ وهل كان ذلك على مائدة الميجر أم على مائدة مسز « ويلكوكس » ؟

ـ انى أبذل كل جهدى كى أتذكر .. وقد رأيت بنفسك أمس كيف يكون الزحام . لقد كان الهولندى وصاحبته قريبين من مسز « ويلكوكس » . وأعتقد أن الحديث عنك بدأ على تلك المائدة . وكان « مارسلان » واقفا فى وسط القاعة ، عندما سمعته يصيح : «كبير المفتشين « ميجريه » صديقى .. نعم هو صديقى .. وأنا أدرى تماما ماذا أقول .. وأستطيع أن أقدم الدليل على ذلك » ..

ـ وهل أبرز خطابا ؟

ـ كنت مشغولا .. فلا أدرى ان كان أبرز خطابا أم لا . وكذلك كانت « جوجو » مشغولة معى بالخدمة ..

ـ وهل كانت زوجتك فى القاعة ؟ ..

ـ أظن أنها كانت قد صعدت الى حجرتها .. فهى عادة تصعد الى المخدع عقب الانتهاء مباشرة من رصد الحسابات ، فصحتها ليست على مايرام وتحتاج لساعات طويلة من النوم

ـ اذن كان « مارسلان » بالاختصار يتكلم موجها الخطاب اما الى الميجر أو مسز « ويلكوكس » أو الهولندى أو « شارلو » أو طبيب الاسنان أو المسيو « اميل » ؟

ـ أعتقد هذا ..

وسمع « بول » صوتا يناديه من الداخل ، فاستأذن وانصرف على عجل .. ولم يلبث أن جاء قائلا :

ـ أنت مطلوب على التليفون يامسيو « ميجريه » ..

ودخل « ميجريه » مسرعا وتناول المسماع :

ـ هذا أنت ؟ أنا « ليشار » .. لقد انتهى كل شىء . وأنا الآن فى بار بالقرب من الجبانة ، والمراة التى تعرفها معى .. لم تتركنى منذ صعدنا الى السفينة . واتسع أمامها الوقت كى تروى لى تاريخ حياتها ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ وكيف تمت الجنازة ؟ ..

ـ على مايرام .. ابتاعت زهورا . ووضـــع بعض الصيادين القادمين من الجزيرة زهورا اخرى على القبر . وكان الجـو حارا جدا فى الجبانة . والان لا ادرى ماذا افعل .. واعتقد اننى ينبغى ان أدعوها للغداء

ـ اهى تسمع حديثنا الان ؟ ..

ـ كلا .. فأنا فى حجرة تليفون مقفلة ، ولكنى أراها من النافذة وهى تضع المساحيق على أنفها وتنظر فى مرآة اخرجتها من حقيبتها

ـ ألم تقابل أحدا ؟ ألم تتحدث بالتليفون ؟

ـ انها لم تتركنى لحظة .. وكان على أن أذهب معهـا الى بائع الازهار ، وأمشى بجوارها وراء النعش كأننى من أفراد العائلة ..

ـ هل ركبتما السيارة العامة من المرسى الى هاير ؟

ـ لم يكن أمامى الا أن أدعوها لركوب سيارتى .. وهل كل شىء على مايرام فى الجزيرة ؟

ـ كل شىء على مايرام ..

وعندما عاد « ميجريه » الى الشرفة وجد طبيب الاسنان جالسا بجوار مستر « بايك » فى انتظار نبيذه . أما «فيليب دى موريكور» فكان يحمل تحت ابطه حزمة من الصحف ، وهو متردد فى الدخول الى « سفينة نوح » . وأما المسيو « اميل » فكان يسير ببطء صوب داره حيث تنتظره أمه العجوز ..

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الثانى عشر

دائرة المعارف

اكتشف « ميجريه » بعد ظهر ذلك اليوم قطاعا كاملا من الجزيرة عندما اخترق الميدان وفى صحبته مستر « بايك »واتجه راسا الى مكتب البريد . وخيل اليه ان رائحة البخور الذى يفوح من الكنيسة تملأ الجو .. وبجوار باب المكتب المفتوح مقعدخشبى مطلى باللون الاخضر ، جلس فوقه « ميجريه » يستروح النسمات فى ذلك اليوم القائظ ..

ولما دخل اخيرا الى المكتب ، وجد فى الكوة فتاة ذات وجه كوجوه الاطفال لايزيد سنها على ست وعشرين سنة .. ولكن نصفها الاسفل بدين غاية البدانة كأنها امراة فى الخمسين ، واسمها « اجلايه » ، وقد ابتدرته قائلة :

ـ كنت أعجب بينى وبين نفسى كيف لم تأت الى المكتب حتى الآن . فمن المفروض أن تحتاج الى استعمال التليفون ، وتليفون « سفينة نوح » غير مناسب للاتصالات ذات الطابع السرى لان الحديث فيه على مدى السمع من جميع الحاضرين ..

ـ وهل يستغرق الاتصال بباريس وقتا طويلا يا آنسة ؟

ـ اذا شئت أعطيتك الاسبقية على جميع الناس ، فلا يستغرق ذلك سوى بضع دقائق ..

ـ اذن أعطنى حكمدارية الشرطة فى باريس ..

ـ انى اعرف الرقم .. فأنا التى قمت بطلبه للمفتش «ليشار» عندما اتصل بك فى باريس ..

وأوشك « ميجريه » أن يسألها :

ـ وهل استرقت السمع ؟ ..

www.ibtesamah.com/vb

بيد أنه لم يجد داعيا لهذا السؤال لانها بغير شك ستفصح عن ذلك فى غضون ثرثرتها معه ..

ـ وبمن تريد الاتصال فى الحكمدارية ؟

ـ بالجـــــاويش « لوقا » .. فان لم يكن موجودا فبالمفتش « تورانس »

وبعد بضع ثوان كان « لوقا » معه على الخط :

ـ كيف حال الجو عندك ؟ ألم تزل السماء تمطـر ؟ بغزارة ؟ اسمع يا «لوقا » ! ابذل كل جهدك لتحصل لى على جميع المعلومات الممكنة بأسرع مافى الاستطاعة عن شخص يدعى« فيليب دى موريكور»

ـ وهل هذا هو اسمه الحقيقى ؟ ..

ـ نعم فقد اطلع « ليشار » على أوراقه ، وهو يقول أن هـــذا اسمه الحقيقى فعلا . وآخر عنوان له فى باريس مسكن مفروش على الضفة اليسرى بشارع يعقوب رقم ١٧ ب

ـ وماذا تريد أن تعرف عنه بالضبط ؟

ـ ليست عندى فكرة محـــددة حتى الآن .. ولكنى أريد أن أعرف كل ما يمكنك الحصـــول عليه ..

ـ هل له ملف فى الارشيف عندنا ؟

ـ لا أظن أن له ملفا عندنا ، ولكن فى استطاعتك على ســـبيل الاحتياط ان تلقى نظرة على الارشيف .. قم بجميع اتصـــالاتك ثم اطلبنى هنـــا ..

ـ فى أى رقـم ؟ ..

ـ لا رقم .. أطلب جزيرة بوركيرول وستجدنى فى الانظار بجوار التليفون

ـ أى خدمة أخـرى ياسيدى ؟ ..

ـ نعم يا « لوقا » .. اتصل بادارة الشرطة فى أوستند .. نعم عاصمة هولندا . واسأل جميع المعلومات الخاصة بشخص اســمه « ببلمانز » وهو فى الغالب من كبار بناة السفن هناك ..

ـ هل هذا كل شىء ياســـيدى ؟ ..

ـ ليس هذا كل شىء .. لاتقطعى الاتصال ياآنسة .. هل لك معارف فى نيارناس ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ نعم ياسيدى ..

ـ سلهم ماذا يعرفون عن شخص اسمه « جيف دى جريف » وهو رسام هولندى قضى وقتا طويلا فى نهر السين ، مقيما فى زورقه الصغير الذى كان راسيا تحت قنطرة مارى .. هل دونت كل هذه النقط ؟

ـ نعم .. أهذا كل شىء ؟

ـ نعم هذا كل شىء .. ولا تنتظر الى أن تحصل على جميع هذه المعلومات ، بل اتصل بى أولا بأول .. وكلف بهذه المهام أكبر عدد ممكن من الاشـــــخاص تحقيقا للسرعة .. وهل كل شىء عـلى ما يرام فى المكتب ؟

وعندما خرج « ميجريه » من مقصورة التليفون رأى « أجلاية » ترفع السماعة عن أذنهـــا من غير أن تشعر بحرج ..

ـ هل من عادتك أن تنصتى دائما الى المحادثات ؟

ـ بل بقيت معكم على الخط خشية أن يقطع ، فأنا لا أثق بعاملة التليفون فى هاير لأنها قطة عجوز ..

ـ وهل تفعلين نفس الشىء مع كل انسان ؟ ..

ـ فى الصباح أكون مشغولة جدا بفرز البريد .. أما بعد الظهر فالمسألة أسهل بكثير ..

ـ هل تدونين مذكرة بالاتصالات التى تتم من الجزيرة ؟

ـ بلى هذا من واجبات وظيفتى ..

ـ أفى استطاعتك أن تعدى قائمة بجميع الاتصالات التى تمت من الجزيرة فى الايام الثمانية الاخيرة ؟ ..

ـ حالا .. لن يستغرق هذا سوى بضع دقائق ..

ـ هل أنت التى تتلقين البرقيات أيضا ؟ ..

ـ نعم .. ولكن البرقيات قليلة جدا فى غير موسم الاصطياف. واليوم مثلا توليت ارسال برقية فى الصباح ، لابد أنها ذات أهمية عنـــدك ..

ـ ومن أدراك ؟ . .

ـ انها برقية أرسلها بعضهم من هنا .. وهو يستفسر عن أحد الاشخاص الذين طلبت الحصول على معلومات عنهم ..

ـ ألديك أصل هذه البرقية ؟ ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ سأبحث لك عنهـا ..

وبعد لحظة قدمت الى « ميجريه » البرقية التالية :

« فريد ماسون بطرف انجيلو شارع بلانش ببـاريس .. أريد معلومات كاملة عن « فيليب دى موريكور » بشارع يعقوب رقم ١٧ بباريس وأرجو الرد برقيا .. الامضاء « شارلو »

وقدم « ميجريه » هذه البرقية الى مستر « بايك » الذى قراها وهز رأسه مرارا . ثم قال ميجريه لـ « أجلايه »

ـ أعدى لى من فضلك قائمة الاتصالات التليفونية التى تمت فى الايام الثمانية الاخيرة .. وسأنتظر فى الخارج على المقعد مع صديقى

وبعد قليل قال مستر « بايك » وهو ينظر الى ساعة الكنيسة :

ـ بعد بضع دقائق سأستأذن منك كى أغيب عنك قليلا ، فقد دعانى الميجر لاحتساء كأس فى نحو الساعة الخامسة . وخشيت أن أجرح شعوره بالرفض .. فهل تأذن لى ؟

ـ لا بأس مطلقـا ..

ـ كنت أظنك ستكون مشغولا ..

ولم يكد « ميجريه » يخلو ليدخن غليونه حتى نادته «أجلاية»

ـ مسيو « ميجريه » ! القائمة تحت أمرك !

فنهض « ميجريه » على الفور وتناول الورقة ، وعاد فجلس على المقعد الاخضر فى الخارج .. ووجدها قد كتبت القـائمة بدقة وعناية ، ولم ترتكب من أخطاء الاملاء الا ثلاثة أخطاء أو أربعـة . وتردد فى القائمة كثيرا اسم الجزار .. والظاهر أنه يتحـدث كل يوم الى هاير ليطلب احتياجاته من اللحم لليوم التالى ، ثم هنـاك الشركة التعاونية .. ووضع «ميجريه» علامة عند منتصف القائمة تقريبا ليفصل الاتصالات التليفونية قبل مصرع « مارسلان » وبعد مصرعه ..

وكان أكثر الاسماء الواردة فى القائمة تكرارا هو اسم «جاستين» التى كانت تتحدث الى نيس ، ومرسيليا ، وافينيون .. وفى مدى الثمانية أيام طلبت باريس أربع مرات . وفى اليوم السابق طلب « شارلو » مرسيليا . وكان « ميجريه » يعلم هذا من قبل . فهذه هى المحادثة التى طلب فيها من صاحبته الحضور لقضاء نهـاية

www.ibtesamah.com/vb

الاسبوع معه . وهى فى هذه الساعة تلاعبـــه الورق على شرفة « سفينة نوح » التى تبدو فى الطرف الآخر من الميدان ، وقداكتظت بالجالسين واللاعبين مثل خلية النحل ..

وأطرف مافى الموضوع ان اسم « مارسلان » كان فى القائمة ، لانه طلب رقما فى نيس قبل مصرعه بيومين ..

وعلى الفور نهض « ميجريه » قائما ، ودخلَ مكتب البريد وفى أعقابه مستر « بايك » ..

ــ هل تعرفين رقم من هذا يا آنسة ؟

ــ طبعا .. انه رقم دار الحوريات الذى تطلبه « جاستين » كل يوم ..

ــ وهل تنصتين الى محادثات « جاستين » ؟

ــ أحيانا .. فأنا لم أعد أهتم بأحاديثها لانها ذات طابع لايتغير

ــ هل هى التى تتكلم أم ابنها ؟

ــ هى التى تتكلم ومسيو « اميل » يسمع ..

ــ لا أفهم ..

ــ انها صماء .. لهذا يتولى مسيو « اميل » الاستماع ثم يصرخ فى أذنيها بما سمعه . وعندئذ تتولى هى الرد بصوت مرتفع جدا يصعب تمييز مقاطعه . وأول شىء تسأل عنه هو جملة الايراد ويسجله المسيو « اميل » فى ورقة أمامه . وهكذا تطلب بيوتها بيتا بعد الآخر !

ــ أظن « جينيت » هى التى ترد عليها فى نيس ؟

ــ نعم .. باعتبارها مديرة ..

ــ وفى باريس ؟..

ــ محادثاتها مع باريس قليلة .. وهى دائما مع نفس الشخص المسمى المسيو « لويس » .. وفى هذه الاحاديث تطلب منه فتيات، فيذكر لها الاعمار والاسعار .. وتجيبه بلا أو نعم ، وتدخل أحيانا فى مساومات كأنها تشترى حلاليف فى سوق القرية ..!

ــ ألم تلاحظى شيئا غريبا على احاديثهـــا فى الايام الاخيرة ؟ ألم يتصل المسيو « اميل » باحد اتصالا خاصا على حده ؟..

ــ لا أظنه يجرؤ ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ ألا تسمح له أمه بذلك ؟..
ـ انها لاتكاد تسمح له بشيء ..
ـ « ومارسلان » ؟..
ـ كنت سأحدثك بشأنه الآن .. لو لم تسألنى ، لانه لم يكن من المألوف ان يأتى الى مكتب البريد اللهم الا لصرف حوالات مالية ، ولا يستعمل التليفون أكثر من ثلاث مرات فى السنة ..
ـ ليتصل بمن ؟..
ـ مرة بطولون ليطلب قطعة غيار لموتور القارب الذى يملكه ، ومرة أخرى بنيس ..
ـ بجينيت ؟..
ـ نعم .. ليقول لها انه لم يتمكن من صرف الحوالة .. فهو كما تعلم يصرف حوالة تأتيه منها كل شهر . وذات مرة اخطأت فى كتابة الحوالة .. كان الرقم بالحروف مخالفا للاعداد .. فلم يصرف الحوالة . وقد أرسلت اليه حوالة اخرى فى اليوم التالى ..
ـ ومتى كان ذلك ؟..
ـ منذ نحو ثلاثة شهور .. كان باب المكتب مغلقا ، ومعنى ذلك أن الوقت كان شتاء ..
ـ والمرة الاخيرة ؟..
ـ بدأت أصفى كالمعتاد للحديث .. واذا بمدام « جالى » تدخل لشراء طوابع ..
ـ وهل كانت محادثة طويلة تلك المرة ؟ ..
ـ أطول من المعتاد .. ويمكننى التأكد على كل حال ..
وأخذت تقلب صفحات دفترها ثم قالت :
ـ مدتان كل مدة منهما ثلاث دقائق ..
ـ لقد سمعت البداية .. فماذا قال « مارسلان » ؟
ـ قال شيئا كهذا : « أهذه انت ؟ نعم انا « مارسلان » .. كلا لاأريد نقودا . وفى استطاعتى أن أحصل من النقود على اى كمية أشاء ... »
ـ هل علقت على هذا الكلام بشيء ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ قالت ببرود : « لقد عدت للافراط فى الشراب يا «مارسلان»!»
ـ وماذا كان رده ؟..
ـ جعل يقسم لها أنه مالك لحواسه تماما ، ثم طلب منها شيئا غريبا ..
ـ ماذا ؟..
ـ سألها ان كان لديها فى دار الحوريات قاموس لاروس الكبير !
ـ وبعد ؟..
ـ وعندئذ دخلت مدام « جالى » .. وهذه السيدة عصبية لا يسهل ارضاؤها . وعند أقلّ هفوة أو تأخير تصيح بأعلى صوتها أن الضرائب التى تدفعها هى التى يتقاضى منها الموظفون مرتباتهم
ـ لا أعتقد أن الست الدقائق تسمح لجينيت بالذهاب للنظر فى قاموس لاروس الكبير الذى يشبه دائرة المعارف البريطانية ثم العودة الى التليفون للافضاء الى « مارسلان » بالمعلومات التى يريد الاستفسار عنها ..
فابتسمت الآنسة البدينة ، وقالت :
ـ طبعا لم يتسع لها الوقت ، لانها أرسلت الرد برقيا .. انظر ! هاقد أعددت لك صورة برقيتها ..
وتناول « ميجريه » الورقة الصفراء . وقرأ فيها مايأتى :
ـ توفى سنة ١٨٩٠ ... الامضاء « جينيت »
ولما رأت وكيلة مكتب البريد دهشة « ميجريه » واهتمامه ، قالت باسمة :
ـ كنت ستضيع على نفسك الشىء الكثير لو لم تحضر الى هنا لزيارتى .. فما كنت لاذهب أنا اليك ..!
ـ وهل تذكرين وجه « مارسلان » حين قرأ تلك البرقية ؟
ـ طبعا .. أعاد تلاوتها ثلاث مرات ليتأكد مما جاء فيها .. ثم انصرف وهو يصفر
ـ صفير السرور ؟
ـ نعم .. السرور والاعجاب أيضا بشخص ما
ـ شكرا لك .. وستجدينني فى الخارج عندما تطلبنى باريس

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الثالث عشر

مهنة سهلة

ومرت ثلاثة ارباع الساعة .. و «ميجريه» جالس يرقب العاب « السيجا » وفى هذه الاثناء جاء العروسان اللذان حضرا فى الصباح الى الجزيرة ليرسلا بطاقات بريد . وحضر ايضا الجزار ، واتصل بهاييز تليفونيا لطلب كمية اللحم للغد .. وبين الحين والحين كان مستر « بايك » ينظر الى ساعة الكنيسة ويفتح فمه كمن يريد ان يقول شيئا ، ثم يعدل عن الكلام فى آخر لحظة ..

وكانت الحرارة خانقة ثقيلة الوطأة على أعصاب كل منهما .. واقلعت فى هذه الاثناء السفينة « كورموران » ولاشك أنها عند عودتها ستقل الى الجزيرة المفتش « ليشار » ومعه « جينيت »

وأخيرا سمع صوت « أجلاية » يناديه من الداخل :

ـ باريس !..

وكان المتكلم هو « لوقا » الذى يتولى ادارة مكتب « ميجريه » أثناء غيبته ..

ـ هذا أنت ياسيدى كبير المفتشين !

ـ نعم يا « لوقا » .. هل حصلت على المعلومات ؟

ـ على جانب منها فقط ياسيدى الرئيس .. وانا فى انتظار بقيتها من أوستند بعد قليل .. وبمن تريدنى أن أبدأ ؟

ـ بمن تشاء ..

ـ اذن نبدأ بموريكور .. ولم يكن الحصول على معلومات عنه أمرا شاقا ، لان المفتش « تورنس » يتذكر أنه قرأ اسمه على غلاف كتاب .. وهو اسمه الحقيقى فعلا . وقد كان والده نقيبا فى

www.ibtesamah.com/vb

سلاح الفرسان ، وتوفى منذ زمن طويل . واما والدته فتقيم فى سومير . وتدل معلوماتى أنهم لايملكون شيئا يدر عليهم ايراداخاصا وحاول « فيليب دى موريكور » عدة مرات أن يتزوج من فتاة وارثة .. ولكنه كان يبوء بالفشل مع كل فتاة من هذا النوع ..

وكانت « أجلايه » تصغى للحديث بلا حياء .. وتغمز بعينها « لميجريه » كلما سمعت شيئا يثير اهتمامها او يوافق هواها ..

ـ و « فيليب دى موريكور » يدعى انه من رجال الادب .. وقد نشر ديوانين من الشعر لدى ناشر من ناشرى الضفة اليسرى وكان يتردد على مقهى الازهار ، وهو معروف جيدا هناك ... واشتغل بالتحرير فى عدد من الصحف . فهل هذا ياسيدى هو ماتريد ان تعرفه ؟

ـ استمر ..

ـ ولم أحصل على تفصيلات أخرى لاننى قمت بجميع الاتصالات تليفونيا ، ولكنى أرسلت شخصا موثوقا به ليأتينى بمزيد من المعلومات . وستحصل على تفصيلات أخرى هذا المساء أو غدا .. وعلى كل حال لم توجه اليه تهمة ، او على الاصح وجهت اليه تهمة منذ خمس سنوات ثم سحب الاتهام

ـ انى مصغ فاستمر ..

ـ هناك سيدة تعيش فى ضاحية أوتيى الفخمة وسأحصل على اسمها قريبا ، كانت قد سلمت « فيليب دى موريكور » طبعة نادرة من كتاب ما ، كى يتولى بيعها لحسابها . وظلت بضعة شهور بعد ذلك تنتظر عودته اليها عبثا ، فقدمت بلاغا ضده .. واتضح انه باع الكتاب لثرى أمريكى ، ووعدها أن يقوم بدفع المبلغ اليها على أقساط شهرية . وقد نفذ وعده فعلا ..

ـ هل هذا كل شىء ؟

ـ تقريبا .. وانت تعرف هذا النوع جيدا ياسيدى .. ثياب أنيقة دائما والسلوك مهذب على الدوام !

ـ وبالنسبة للنساء العجائز ؟

ـ ليست لدينا معلومات محددة .. وكان يحيط علاقاته بالسرية التامة

www.ibtesamah.com/vb

ـ والشخص الاخر ؟
ـ « دى جريف » ؟
ـ نعم ..
ـ لقد كان كل منهما يعرف الاخر فى باريس .. ويبدو أن « دى جريف » شخص له أهميته ، فالبعض هنا يؤكدون أنه لو شاء لاصبح من أعظم الرسامين فى هذا العصر ..
ـ ولكن ألا يريد هو ذلك ؟
ـ انه يتشاجر دائما مع كل انسان .. وقد رحل مع فتاة بلجيكية من أسرة كبيرة جدا ..
ـ أعرف هذا ..
ـ وعندما وصل الى باريس أقام معرضا لاعماله فى حجرة صغيرة بشارع السين . وفى اليوم الاخير عندما تبين انه لم يبع شيئا من لوحاته أحرقها جميعا ، ويقول البعض ان الليالى الحمراء التى كان يحييها على سطح زورقه المسمى « زهرة الحب » كانت فذة فى مباذلها الصارخة . وقد تولى عمل رسوم ايضاحية لبعض الكتب الجنسية التى تباع خلسة ، وتخصص فى تصوير الشذوذ .. وهذا هو المصدر الوحيد الذى يعيش منه ..
ـ هل هذا كل شىء ؟
ـ هذا كل ماوصل اليه علمى .. وانا الان فى انتظار حديث تليفونى من أوستند
ومن النافذة الزجاجية لقمرة التليفون ، رأى « ميجريه » صديقه مستر « بايك » يريه ساعته ، وعقاربها تشير الى الخامسة .. ثم لوح بيده واتجه صوب دار الميجر .. فشعر « ميجريه » بارتياح عظيم كأنه طفل منحته المدرسة اجازة !
ـ اسمع يا « لوقا » ! اطلب زوجتى فى البيت وبلغها ان كل شىء على مايرام
ووجد نفسه بعد ذلك وجها لوجه امام « اجلايه » وقدارتسمت على ملامحها امارات السرور .. وقالت بلا حياء :
ـ كم اتمنى أن أرى بعض هذه الكتب التى يرسم لها صورا ! أتظن أن لديه نسخا منها هنا ؟

www.ibtesamah.com/vb

ولم يدر بماذا يجيبها .. ولكنها لم تترك له فرصة للرد ، وقالت :

ـ ان مهنتك أسهل بكثير مما يظن الناس .. فالمعلومات تنهال عليك من كل جانب . أتظن أن القاتل حقا احد هذين الشخصين ؟ لقد نسيت ان أخبرك أن « فيليب دى موريكور » يرسل عددا كبيرا من الخطابات ، فأنا اعرف خطه دائما . وهو يكتب دائما بحبر أخضر اللون .. وان كنت لا أدرى السبب فى هذا

ـ والى من يكتب ؟

ـ نسيت الاسماء .. ولكن معظم خطاباته الى باريس . وبين حين وآخر يكتب خطابا الى أمه ، ولكن خطابات باريس تمتاز بثقلها ..

ـ وهل يتلقى خطابات كثيرة ؟

ـ كثيرة جدا .. ومجلات وصحفا . هناك دائما مطبوعات ترد باسمه كل يوم ..

ـ ومسز « ويلكوكس » ؟

ـ تكتب كثيرا ايضا خطابات الى انجلترا وكابرى ومصر . وانا أتذكر مصر على الخصوص لأننى طلبت منها ذات يوم ان تعطينى الطوابع المصرية لان ابن أختى يجمع الطوابع النادرة

ـ وهل تستعمل التليفون ؟

ـ جاءت مرتين أو ثلاث مرات لتطلب لندن من هنا .. وانا للاسف لا افهم الانجليزية .. ولهذا لم أعرف موضوع الاحاديث ..

ـ ان مواعيد اغلاق المكتب هى الخامسة . ولكن اذا اردت الانتظار ريثما يتصل بك « لوقا » من باريس

ـ سأنتظر فى الميدان .. بالقرب من سفينة نوح لارقب مباراة « السيجا » .. فاذا طلبتنى باريس فستجدينني هناك

واتجه « ميجريه » الى سفينة نوح ليشرب كأسا من النبيذ ، فوجد « شارلو » منهمكا فى ادارة الحاكى .. وصاحبته تطالع فى مجلة سينمائية ..

ولما رآه « بول » بمفرده سأله فى دهشة بالغة :

www.ibtesamah.com/vb

ـ أليس صاحبك الانجليزى معك ؟
ـ انه مع مواطن يتحدثان لغتهما القومية ..

وكان من اليسير ادراك وصول السفينة « كورموران » فهاهم الناس يتقاطرون على الطريق لاستقبالها .. ثم هاهم بعد قليل يتقاطرون عائدين مع القادمين الجدد ..

ولم يتردد « ميجريه » فى الذهاب مع المستقبلين .. وما ان التقت السفينة مراسيها حتى لمح على ظهرها « جينيت » والمفتش « ليشار » وكأنهما صديقان قديمان . وكان على ظهر السفينة أيضا الصيادون عائدين من تشييع جنازة « مارسلان » ..

ورأى « ميجريه » بين المستقبلين « شارلو » .. ولكنه فى هذه المرة لم يستقبل أحدا معينا . وبمجرد نزول « ليشار » الى البر قال « لميجريه » :

ـ أليس هناك من جديد ؟
ـ لاجديد ..

وكان التعب يبدو واضحا على وجه « جينيت » ، ونظراتها تنم عن شىء من القلق .. واتجه الثلاثة نحو « سفينة نوح » . وسألها « ميجريه » :

ـ هل تشعرين بظمأ يا « جينيت »
ـ انى أرحب بكأس ..

وشرب الثلاثة فى الشرفة .. والقلق ينتاب « جينيت » كلما شعرت بنظرات « ميجريه » الثاقبة تتركز عليها . والواقع انه كان ينظر اليها من غير أن يفكر فيها ، لان أفكاره كانت بعيدة عنها كل البعد ..

وأخيرا قالت بعد أن أفرغت كأسها :

ـ سأصعد لاغسل وجهى ..

فقال لها « ميجريه » ببراءة تامة :

ـ أتأذنين لى ان آتى معك ؟

وكان « ليشار » يشم رائحة شىء جديد .. ولكنه لم يستطع ان يخمن ماهو . ولم يجسر على سؤال ميجريه . فظل جالسا الشرفة ، وصعد كبير المفتشين وراء جينيت

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الرابع عشر

تسليم

ولما صارا وحدهما فى حجرة النوم قالت له :

ـ أتعلم انى أريد حقا أن اغير منهاج حياتى ؟

فقال لها ببرود :

ـ منهاج حياتك لا يزعجنى !..

فتصنعت الهزل ، وقالت مازحة :

ـ ولكن لنفرض انه يزعجنى انا ؟ ..

وانصرفت الى خلع ثوبها وقبعتها .. وهو جالس لا يحرك ساكنا . وتنهدت « جينيت » وقالت له :

ـ ان هذا الحادث قد هزنى .. واظن انه كان سعيدا هنا . ان « مارسلان » فى مثل هذه الساعة من المساء كان يشترك فى مباراة « السيجا » فى الميدان ، واشعة الشمس الغاربة تنشر الذهب على برج الكنيسة وسقوف المنازل .. كان محبوبا جدا من الجميع ، ولهذا اظهر الكل عطفهم فى هذه المناسبة

واثناء هذا الكلام كانت قد خلعت المشد ، ولكن « ميجريه » كان موليا اياها ظهره متصنعا النظر من النافذة .. وبعد فترة من الصمت قال لها :

ـ أتتذكرين السؤال الذى القيته عليك ..

ـ لقد القيته على بالامس مرارا فكيف انساه ؟ اننى لم اكن اصدق أنك يمكن أن تكون بهذه القسوة !

ـ وانا من جانبى لم أكن اصدق انك يمكن أن تحاولى اخفاء شىء عنى ..

www.ibtesamah.com/vb

فتصنعت الدهشة وقالت له :
ـ وهل أخفيت عنك شيئا ؟..
ـ لقد سألتك لماذا جئت الى هنا فى حين أن جثة « مارسلان » موجودة فى هاير فى انتظار تشييع الجنازة ..
ـ وقد أجبتك عن هذا السؤال ..
فقال بقسوة :
ـ وكانت اجابتك أكذوبة ..
فقالت بهدوء مصطنع :
ـ لا أدرى ماذا تعنى بهذا ..
ـ لماذا لم تخبرينى بالحديث التليفونى ؟
فتصنعت الدهشة ، وقالت :
ـ أى حديث تليفونى ؟..
فقال بحزم ، وهو يضع عينيه فى عينيها :
ـ حين طلبك « مارسلان » تليفونيا قبل وفاته بيوم واحد ..
فأجابت ببراءة تامة :
ـ أوه !.. نسيت تلك المحادثة تماما ..
فضاقت عيناه وهو يسألها :
ـ ونسيت أيضا برقيتك اليه ؟..
ولم تحر جوابا .. ولكنه لم يرحمها وسألها :
ـ لماذا لا تجيبين ؟ فيم تفكرين ؟..
ـ أفكر فى أننى كنت مخطئة ..
ـ ألم تذكرى شيئا عن لاروس ؟..
فسألته باستسلام :
ـ لمن ؟..
ـ لست أدرى .. للمسيو « اميل » مثلا أو لـ « شارلو » ..
ـ لا تبلغ بى الحماقة هذا المبلغ ..
ـ لأنك كنت تطمعين فى أن تخلفى « مارسلان » فى استغلال السر ؟ أتعلمين يا « جنييت » أنك امرأة متآمرة خطيرة ؟..
فرفعت رأسها ، وقالت باحتجاج :
ـ هكذا يقول الناس دائما عن كل امرأة تحاول أن تؤمن

www.ibtesamah.com/vb

مستقبلها المزعزع ، وينهالون عليها بالاتهام والاحتقار والمطاعن عندما ترغمها الفاقة على احتراف مهنة لم يكن لها يد فى اختيارها ..

وكان صوتها يقطر مرارة ، فداخل « ميجريه » الاشفاق عليها وسألها :

ـ كنت أظنك ستتزوجين من المسيو « اميل » ؟..

ـ هذا فى حالة انتقال « جاستين » من هذا العالم ، وبشرط ألا تتضمن وصيتها نصا يحرم ابنها من الزواج .. ثم هل تظن أن مشروع زواجى من المسيو «اميل» يملأ نفسى غبطة وابتهاجا يا مسيو « ميجريه » ؟!..

ورفع « ميجريه » حاجبيه قليلا ، وهو يسألها :

ـ هل أفهم من هذا أنك لو نجحت فى استغلال السر الذى يعرفه «مارسلان» لم تكونى لتتزوجى من المسيو « اميل » ..!

ـ طبعا ما كنت لأتزوج فى هذه الحالة ذلك الحطام العليل !

ـ وهل كنت تغادرين ذلك البيت الذى تديرينه فى نيس ؟

فقالت بغير تردد :

ـ من غير شك .. كنت أغادره غير آسفة ..

ـ وماذا تفعلين بعد مغادرته ؟..

ـ أذهب لاعيش فى الريف .. فى اى بقعة من الريف ، وأربى الكتاكيت والارانب والحمام ..

وصمت « ميجريه » لحظة ، ثم سألها وقد هدأ :

ـ والآن .. ماذا قال لك « مارسلان » فى التليفون ؟

ـ ستظن أننى أكذب عليك هذه المرة ايضا ..

فحملق فى وجهها طويلا ، ثم قال بهدوء :

ـ كلا .. لم أعد أشك فى صدقك ..

ـ وهو كذلك .. قال لى انه اكتشف عن طريق الصدفة شيئا خارقا المألوف . كانت هذه كلماته بالضبط .. ثم قال ان هذا الاكتشاف قد يجنى منه مالا طائلا جدا .. ولكنه يريد أن يتأكد من شىء ..

ـ وهل أشار الى شخص معين ؟..

www.ibtesamah.com/vb

ـ كلا .. وليس عهدى به أن يتصنع الغمـوض والابهام .. كان بحاجة الى معلومات معينة ، وسألنى أن كان عندى فى الدار قاموس لاروس الكبير الذى يزيد على العشرين جزءا .. فقلت له ان مثل هذا القاموس لا يوجد عادة فى بيت من بيوت الترفيه ..

ـ وماذا كان ردك ؟..

ـ الح على أن أذهب الى دار الكتب لأطلع على مادة معينـــة فى هذا القاموس

ـ وما هى هذه المادة ؟..

ـ أليس فى هذه المعلومات التى قلتها لك الكفاية ؟..

ـ كلا .. اكملى ..

ـ لم أفهم شيئا مما طلبه منى ، ولكنى بدأت أفهم عندما جئت هنا ..

ـ قلت لك تكلمى بغير مراوغة .. من هو الذى مات ســـنة ١٨٩٠ ؟

ففغرت فاها قليلا ، وقالت :

ـ هل قرات البرقية اذن ؟ .. ألم يعدمها ؟ ..

ـ لا تصبى عليه اللعنات ظلما !.. فان مكتب البريد يحتفظ كما هى العادة بصورة من جميع البرقيات ..

فتنهدت « جينيت » وقالت باستسلام :

ـ بشخص اسمه « فان جوخ » .. رسام . وقرأت فى دائرة المعارف المذكورة انه مات منتحرا وكان فقيرا جدا ، ولكن الناس يتهافتون اليوم على لوحاته التى تساوى الواحدة منها عشرات الالوف . وخطر لى أن « مارسلان » ربما وقعت فى يده احدى تلك اللوحات الثمينة ..

ـ ولكن هذا لم يكن هو الوضع ؟..

ـ لا اظن ذلك .. فهو عندما كلمنى بالتليفون لم يكن يدرى ان ذلك الرسام انتقل من هذا العالم ..

ـ فما الذى ظننته اذن ؟..

ـ أقسم لك أننى لا أدرى .. وكل ما هناك انى قلت لنفسى : ما دام « مارسلان » كان فى مقـدوره أن يكسب ثروة كبيرة من

www.ibtesamah.com/vb

وراء هذه المعلومات ، فمن الممكن أيضا أن أكسب أنا ذلك المال عن طريق تلك المعلومات بعينها . ولا سيما عندما سمعت أنه قتل.. فالناس لا يرتكبون جرائم القتل على سبيل التسلية. وهو انسان ليس له أعداء ، وليس عنده ما يستحق عناء السرقة .. فهل فهمت مرادى ؟

ـ اتعتقدين اذن ان الجريمة لها علاقة بالسيد « فان جوخ » المذكور ؟

ـ اعتقد ذلك ..

ـ أنت على حق فى هذا الاعتقاد ولا شك ..

وتنهدت « جينيت » بتحسر وقالت :

ـ وما الفائدة ؟.. لم يعد لهذه المعلومات قيمة بعد وصولك الى هنا .. وهل هناك سبب يدعو لابقائى فى الجزيرة .. انى استمتع هنا بأجازة طالما أنت تستبقينى هنا . ولا تستطيع تلك القطة العجوز « جاستين » أن تفتح فمها بكلمة اعتراض ..

فابتسم « ميجريه » ، وقال لها :

ـ سأؤدى لك هذه الخدمة وأستبقيك ..

ـ شكرا لك .. انك تبدو الان لطيفا كما عرفتك فى باريس ..

ولم يكلف نفسه عناء الرد على ثنائها ، بل قال بايجاز :

ـ استريحى الآن قليلا ..

ونزل الى الطابق الارضى ، ومر بالقرب من « شارلو » الذى جعل يحدجه بنظرات فاحصة ، ثم جلس أمام « ليشار » فى الشرفة ..

وسأل « ليشار » رئيسه العبقرى :

ـ هل وصلت الى شىء يا رئيسى ؟..

ولم يجب « ميجريه » على الفور ثم التفت اليه وقال :

ـ أخشى أن أكون قد وصلت فعلا الى شىء ..

وعندئذ جاءه من يناديه قائلا :

ـ التليفون من باريس يا مسيو « ميجريه » ..

ولعلها المعلومات الاخيرة من اوستند ..

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الخامس عشر

بوليت

استقبل « ميجريه » يوم الاحد ضيقا بجوه الثقيل على نفسه .. فهو طول عمره يكره ذلك اليوم من كل أسبوع .. وقد نبهته من نعاسه اصوات نواقيس تدق . لم تكن جهيرة الصوت مثل نواقيس الكنائس المعهودة ، بل هى نواقيس صغيرة ذات صوت حاد أشبه بنواقيس الديارات ، ينبعث منها الرنين فى دوائر صغيرة متتالية تتجاوز الميدان والبيوت المحيطة به الى المرفأ والى البحر الذى تتراقص فوق صدره الزوارق الصغيرة واليخوت البيضاء

وفى اليوم السابق كان « ميجريه » قد غادر حجرته منتعلا خفه .. واليوم أيضا فعل كما فعل فى اليوم السابق ، ارتدى سترته فوق قميص نومه ذى الياقة الحمراء المطرزة ، وهبط الى الطابق الاسفل ودخل المطبخ ولكنه أصيب عند دخوله هناك بخيبة أمل تامة .. فهو فى عقله الباطن كان يرجو أن يعيد ماحدث فى اليوم السابق ، فيجد نفسه مرة أخرى بقرب الموقد و «جوجو » تعد القهوة ،والباب المفتوح يفسح أمام عينيه مستطيلا مضيئا يفضى الى الخارج ...

أما اليوم فلم تكن « جوجو » وحدها .. بل كان هناك أربعة أو خمسة من الصيادين . ولابد أن « جوجو » كانت قد قدمت اليهم شرابا كحوليا قويا ، فرائحة الكحول القوية تملأ جو المطبخ الدافىء . وعلى الارض سلة أسماك كبيرة مقلوبة ، ورأى «ميجريه» بين الاسماك الازرق والاخضر .. ومعظمها من أنواع لم يعرف لها اسماء وكان هناك ايضا ثعبان من ثعابين البحر مرقش الجلد بالوان

www.ibtesamah.com/vb

حمراء وصفراء . ولم تزل الحياة تدب فى أوصاله فيلتف حول قائمة أحد المقاعد ..

وقالت « جوجو » لـ « ميجريه » :

ـ ألا تريد قدحا من القهوة يامسيو « ميجريه » ؟ ..

ولكن الذى قدم له القهوة لم يكن للاسف « جوجو » ، بل « بول » صاحب الخان بنفسه .. فزاد ذلك من تعكر مزاج « ميجريه » . وابتلع جرعات القهوة الساخنة بسرعة ، وهو متجهم يحافظ على وقاره أمام أولئك الغرباء وهو فى مباذله . ثم صب لنفسه قدحا آخر حمله معه الى مخدعه فى الطابق العلوى .. وهو يعجب بعض الشىء من تهيب من حوله بسبب وجوده . ويتذكر عهدا من العمر غير بعيد كل البعد ، كان يستقبل فيه يوم الاحد فى قريته ببنطلونه القصير ليذهب مع امه الى القداس الباكر .. وانه ليذكر جيدا أن الكنيسة الصغيرة بالقرية كانت معتمة لا تضيئها الا بضع شموع ..

فى ذلك الزمن كان الجميع يأخذونه مأخذ الهزل .. أما اليوم وقد استوى كهلا ، وصار لقبه كبير مفتشى الشرطة فى ادارة المباحث الجنائية ، فما من أحد يشك فى كلمة يقولها أو يستخف برأى له .. الجميع يرون كل كلامه خطيرا ، وهو وحده الذى يشك احيانا فى وزن ما يقول ! ..

***

وتساءل « ميجريه » بينه وبين نفسه : أترى يعانى غيرى من الناس مثل هذا الاحساس ؟ هل المستر « بايك » مثلا يعجب أحيانا من استهوال الناس لامره وأخذهم اياه مأخذ الجد على الدوام ؟ الا يخامره أحيانا أن ذلك كله هزل أشبه باللعبة الصبيانية ، وأن الحياة ليست فى حقيقة أمرها سوى مزحة كبيرة معقدة ؟

وانتقلت أفكار « ميجريه » الى الميجر العجوز « بلالام » :

ـ أليس هذا الميجر سوى غلام تقدمت به السن ، وهو فى موضعه عقليا وعاطفيا ؟ .. أليس شأنه شأن تلاميذ كثيرين يتخلفون فى دراستهم حتى تعلو بهم السن ، ولا يستطيع المعلم الا أن يسخر منهم ويتخذهم مادة للهزل ؟

www.ibtesamah.com/vb

ان مستر « بايك » قال شيئا رهيبا فى الليلة السابقة قبل أن تقع مسألة « بوليت » . وكان ذلك عندما تجمع الكل تقريبا فى قاعة « سفينة نوح » فى بداية الامسية . وبالطبع جلس « بايك » على مائدة الميجر . وبدا للجميع كأن بينهما قرابة لقرب الشبه بينهما على الرغم من تفاوت العمر .. ولابد أنهما شربا كثيرا بعد ظهر ذلك اليوم عندما توجه « بايك » لزيارة مواطنه العجوز فى داره . ولكن الافراط فى الشراب أثقل لسانهما من غير أن يفقدهما شيئا من اتزانهما .. وهذا جزء من التربية التى يتلقاها الانجليز فى مدارسهم ومحافلهم !

وتوجه « ميجريه » ليجالس الانجليزيين الصامتين ، وما أن احتل مقعده بجوار « بايك » حتى تنهد «بايك » وقال همسا :

ـ لقد اصبحت منذ الاسبوع الماضى جدة !

ولم ينظر الى جهه المرأة التى يتحدث عنها والتى كان كعادته يتحاشى ذكر اسمها على لسانه .. ولكن ما من شك فى أنها مسز « ويلكوكس » ..

وكانت مسز « ويلكوكس » موجودة هناك ، فى الطرف الاقصى من القاعة جالسة على أريكة صغيرة مع صاحبها « فيليب » . والى المائدة المجاورة الهولندى ومعه صاحبته « أنا » ..

وسكت مستر « بايك » برهة ، ثم استطرد بصوت هادىء جدا :

ـ ابنتها وزوج ابنتها لا يسمحان لها بأن تطأ قدماها أرض انجلترا . والميجر يعرفها معرفة جيدة ..

يا للمرأة المسكينة ! لقد بدت لعينيه فجأة امرأة عجوزا لا يجد فى نفسه رغبة أو ميلا للضحك من زينتها وشعرها المصبوغ وحيويتها المصطنعة !

انها جدة ! وقد جعل هذا النبأ « ميجريه » يتذكر على الفور جدته . وحاول أن يتخيل احساسه وسلوكه عندما كان طفلا ، اذ يقال له عند حضور سيدة مثل مسز « ويلكوكس » :

ـ اذهب ياصغيرى وقبل الجدة ! ..

انها محرومة من الاقامة فى وطنها .. ومع هذا فهى لا تقاوم ولا تحتج ولا تتمرد على هذا التحريم ! انها تعرف تمام المعرفة أن الكلمة الاخيرة ليست لها ، وأن الصواب ليس فى جانبها .. أنها

www.ibtesamah.com/vb

هى المذنبـــة ...

انها تشبه من وجوه كثيرة الرجل السكير الذى يعطيه اهله اقل ما يمكن من النقود لمصروفة الخاص . ولكنه يحاول أن يخدع ذوية ليختلس كأسا من هنا وكأسا من هناك ، لانه لا يستطيع أن يقاوم الشراب !

ولكن أتراها تفعل ما يفعله السكارى ؟ هل تطفو همومها أحيانا وتشعر بالتحسر على نفسها فتنفـرد فى ركن من الاركان وتجهش بالبكاء ؟

ربما كانت تفعل هذا حين تفرط فى الشراب .. وهى قلما تجلس بغير شراب . وهى تكلف « فيليب » أن يملأ لها كأسا كلما شعرت بالرغبـــة فى ذلك ...

اما « انا » الجالسة بقربها فيبدو عليها أنها لا تفكر فى شىء الا أن يكون ذلك : متى يترى يهم صاحبها بالقيام كى يتـــاح لها أن تأوى اخيرا الى فراشها ؟

وانتهى « ميجريه » من شرب قدح القهوة الثانى فى حجـرته ، ووقف أمام النافذة يحلق ذقنه بعد أن وجد باب الحمام مغلقا .

ولقد كانت « جينيت » بداخله وصاحت به :

ـ سأفرغ فى مدى خمس دقائق ..

وبين الحين والحين كان « ميجريه » ينظر من النـــافذة الى الميدان المقفر لأن الجميع فى الكنيسة . وعاد يعجب من أمره ومن أمر مهنته ، فما هو الا رجل مثل سائر الرجال .. ولكن مصـير سائر الرجال فى يده .. سائر من فى هذه الجزيرة من البشر !..

لقد نظر اليهم واحدا واحدا فى المساء السابق .. ولم يكن قد اكثر من الشراب ، بل اكتفى بجرعات قليلة تنشط خياله بعض التنشيط

وهاهو « دى جريف » بملامحه المحددة يحملق فيه بين الحين والحين فى صمت ساخر ويكاد ان يلقى فى وجهه بالتحدى ...

وهاهو « فيليب » يبدو رغم سـلالته العريقة واســم عائلته الشهير اقرب الى ملامح السوقة ، ولا سيما حين تأمره مســز « ويلكوكس » ليقوم على خدمتها .. ولعله يثأر لنفسه منها فى أوقات أخرى حين يضمهما الفراش الواحد . ولكن هذا لايغير من

www.ibtesamah.com/vb

الواقع ، وهو اضطراره لابتلاع الاهانات التى توجه اليه علنا ... وأنها لاهانات غير هينة ، لايسهل ابتلاعها .. ولهذا كان الجميع يشعرون بعدم الارتياح حين يشاهدونها . يسود الوجوم بسبب ذلك . ويحار المسكين « بول » لهذا الوجوم ولايدرك أسبابه فيبذل جهدا يائسا لاعادة النشاط والحياة الى السهرة ..

لابد أن الجميع اليوم سيتحدثون فى طول الجزيرة وعرضها بما حدث بالامس فهل ترى سيحفظ « بوليت » السر ؟ ..

ولقد كان « بوليت » عند حـــاجز البـــار ، وعلى رأسه قبعة القبطان كالعادة . وكان قد تجرع كميةهائلة من المشروبات . وكان يتكلم بصوت مرتفع .. صوت بحار قديم يعرف كيف يعلو بطبقات صوته على هدير الموج . فلاعجب أن يفرق صوته ضجة الاحاديث فى القاعة ويتميز عنها ...

وطوعا لامر مسز « ويلكوكس » اختـــرق « فيليب » القاعة كى يدير الحاكى . وهو أمر كثيرا ما يحدث فى كل مساء . وفجأةغمز « بوليت » بعينيه « لميجريه » ثم اتجه صوب الآلة وأوقفهـــا ، والتفت ناحية « موريكور » ونظر اليه نظرة شاخصة فى تهكم ..

ولم يحتج « فيليب » .. وتظاهر بأنه لم يفطن لمغزى الحركة والنظرة . وعندئذ تقدم منه « بوليت » بضع خطوات وصـــاح بأعلى صوته :

ــ أنا لا أحب أن ينظر الناس الى هكذا !

فقال « فيليب » على الفور :

ــ ولكنى .. لم انظر اليك !

فصرخ « بوليت » بغضب :

ــ اذن أنت تظن نفسك أرفع من أن تنظر الى ؟

ومرة أخرى اجابه « فيليب » بمزيد من الهدوء والمسالمة :

ــ انا لم أقل هذا ! ..

وازداد صياح « بوليت » :

ــ لم تقله بلسانك .. ولكن أتظننى غبيا لا أفهم ؟

وهمست مسز « ويلكوكس » تقول شيئا باللغـــة الانجليزية لصاحبها .. وقطب مستر « بايك » جبينه . وعندئذ صـــاح

www.ibtesamah.com/vb

« بوليت » :

ـ أتظننى لست كفءا لك أيها الفأر الحقير ؟

واحمر وجه « فيليب » غاية الاحمرار .. ولكنه مع هذا لم يتحرك ، بل تظاهر بالنظر الى شيء آخر . ولكن « بوليت » لم يتركه بل صاح :

ـ حاول أن تقول مرة أخرى أننى لست كفءا لك !.

وفى هذه اللحظة نظر «دى جريف» نظرة فاحصة الى «ميجريه». نظرة بجانب عينه . فهل تراه فطن الى الحقيقة ؟

ان « ليشار » لم يفهم شيئا على كل حال . ولهذا هم أن ينهض ليضع حدا للنزاع . فاضطر « ميجريه » أن يقبض على معصمه من تحت مفرش المائدة ..

وزاد « بوليت » فى وعيده :

ـ ماذا عساك تقول لو أنى شوهت سحنتك بقبضة يدى ؟

وعلى الفور دفع « بوليت » قبضته فى وجه « فيليب » عبر المائدة . ورفع « فيليب » يده الى أنفه يتحسسه ، ولم يزد على ذلك . لم يحاول أن يدافع عن نفسه ، ولا أن يرد الهجوم بمثله .. بل قال متلعثما :

ـ أنا لم أسىء اليك !..

ووقفت مسز « ويلكوكس » أمام البار وصاحت :

ـ مسيو « بول » ! مسيو « بول » ! أخرج هذا الوبش .. اطرحه خارجا . هذه عربدة فاضحة !..

والتفت « بوليت » نحو الهولندى صائحا :

ـ أما أنت ...

ولكن رد الفعل هنا كان مختلفا كل الاختلاف . فمن غير أن يغادر « دى جريف » موضعه تصلبت عضلاته وزمجر قائلا :

ـ كفى يا « بوليت » !

وأدرك الجميع أن « دى جريف » لن يسمح لاحد أن يعبث به ، وأنه على تمام الاستعداد للوثوب على خصمه بكل قوته العضلية ..

وتدخل « بول » أخيرا قائلا :

www.ibtesamah.com/vb

ـ اهدأ يا « بوليت » .. وهيـــا معى لحظة الى المطبخ ، فانى أريدك هناك فى موضوع عاجل .. هيا معى !

وتركه « بوليت » يجذبه من ذراعه الى المطبخ ، وهو يصـــيح محتجا انقـــاذا للمظاهر .. ولم يكن « ليشـــار » قد فهم المسألة بعد ، ومع هذا سأل « ميجريه » هامسا :

ـ أأنت الذى دبرت هذا ؟

ولم يجبه « ميجريه » .. وجلس متظاهرا بالبراءة التامة عندما حدجه مفتش سكوتلانديارد بنظرة ثاقبة ..

وعاد « بول » من المطبخ وحده ، فقدم اعتذاره لفيليب بكل لباقة

ـ انه سكران ياسيدى .. وقد أخرجته من الباب الخلفى ولن يعود الى هنا الليلة ..

والان .. وقد طلع النهـــار ، لابد أن يظهر « بوليت » فى عيـــون الناس بمظهر البطل . وقـــد يفشى السر .. ولكن لم تعـــد لهذا أهمية . فالمهم كله أن « فيليب » لم يدافع عن نفسه ، وأن الخوف ارتسم على ملامحه بصـــورة لا توصف . ثم أقبل على الشراب بافراط الى أن جذبته مسز « ويلكوكس » من ذراعه وانصرفت به ..

ولم يحدث شيء بعـــد ذلك . وصـــعد « شارلو » وصـــاحبته الراقصة الى حجرتهما فى ساعة مبكرة . و « جينيت » و « اميل » جلسا يتهامسان فى الركن . ولم تسد الضجة المرحة المعتادة ، ولم يشرب أحد نخب أحد بسبب ما حدث . وعندما صعد « ميجريه » الى حجرته أخيرا كان « شارلو » وصاحبته لم يزالا ساهرين ..!

www.ibtesamah.com/vb

الفصل السادس عشر

مترجم

وسمع « ميجريه » طرقا على بابه فصاح :

ـ ادخل يا « ليشار » ..

ودخل « ليشار » ، فاذا به كالعادة فى ملابسه الكاملة . وبعد تبادل تحية الصباح سأله « ميجريه » :

ـ هل ذهب مستر « بايك » للاستحمام فى البحر ؟

وضحك « ليشار » وقال :

ـ لقد عاد .. وهو جالس الان فى الطابق الاسفل منهمكا فى التهام البيض المقلى باللحم المقدد على الطريقة الانجليزية ..

وأتم « ميجريه » تنظيف وجهه من اثار الصابون ثم قال :

ـ وأنت ماذا فعلت يا «ليشار » ؟

وهز « ليشار » كتفيه وقال :

ـ كالمعتاد .. بدأت يومى بالذهاب الى المرفأ ..

ـ لتراقب خروج الصيادين ؟ ..

ـ كلا .. انى أذهب خصيصا لمشاهدة السفينة « كورموران » عندما تقلع

وعاد « ميجريه » يسأله :

ـ اليس هناك جديد ؟

وعاد « ليشار » يهز كتفيه وقال :

ـ لا شىء .. ويبدو أن يوم الاحد من كل اسبوع يمتاز بحضور عدد كبير من النـــاس ، قادمين من هاير وطولون .. ووجهتهم

www.ibtesamah.com/vb

الشواطىء للاستحمام . فلا ينقضى اليوم الا وقد ملأوا الرمال الناعمة بعلب السردين الفارغة وزجاجات النبيذ وفضلات الطعام من كل نوع ...

ـ هل حضر أحد منهم ؟ ..

ـ كلا .. ولكنى جمعت هذه المعلومات من الناس .. وسيأتى الفوج الاول على ظهر السفينة « كورموران » فى مدى ساعة ..

***

ولم يكن فى المعلومات التى وصلت من أوستند شىء لم يتوقعه « ميجرية » . فالمسيو « ببلمانز » والد « انا » شخصية هامة هناك . وكان عمدة للمدينة مدى سنوات طويلة . ورشح نفسه للبرلمان ذات مرة وفاز بالنيابة ..

وقيل « لميجريه » أيضا انه منذ هربت « أنا » من بيت والدها ، جرم أبوها على الجميع أن يتلفظوا باسمها أمامه . ثم ماتت زوجته حزنا وكمدا .. ورفض الرجل ابلاغ « انا » بوفاة أمها ..

واستكمل «ميجريه» ارتداء ثيابه . وقال وهو يرتدى سترته :

ـ يبدو يا عزيزى « ليشار » أن جميع من ضلوا سواء السبيل قد احتشدوا فى هذه الجزيرة ..

ولم يضطرب « ليشار » أو يظهر عليه التأثر .. فهو لا يكترث لمثل هذه الخواطر والتعليقات ، فهز كتفيه وقال :

ـ ان الجو هنا هو المسئول ولاشك عن ذلك !

وسأله «ميجريه» وهو يضع الكولونيا على وجهه :

ـ ألم تقم بخطوة جديدة فى التحقيق ؟

ورفع « ليشار » حاجبيه ، وقال بشىء من العتاب :

ـ انى كما تعلم أقوم دائما بواجباتى ..

وضحك « ميجريه » وقال مهونا عليه :

ـ طبعا طبعا يا عزيزى « ليشار » .. هذا عهدى بك ..

وقال « ليشار » بلهجة تنم عن التفاخر :

ـ لقد وضعت نصب عينى يا سيدى كبير المفتشين أن أفحص كل مسدس موجود فى هذه الجزيرة .. ولهذا فحصت اليوم مسدسا اخر ، وان كنت لست كبير الامل فى أن يؤدى هذا الى

www.ibtesamah.com/vb

نتيجة .. ولكن الواجب هو الواجب ، والروتين هو الروتين يجب أن يأخذ مجراه ..

واتجه « ميجريه » نحو الباب . ومن ورائه « ليشار» يسأله :

ـ وماذا سنصنع اليوم يا رئيسى ؟

ولما كان « ميجريه » لا يدرى بالضبط ماذا سيصنع ، أو لعله لا يريد ان يفصح لـ «ليشار» عما سيصنع ، فقد تجاهل السؤال.. ونزل الاثنان الى الطابق الارضى ، فوجدا المستر « بايك » أمام مائدة مفروشةبمفرش به مربعات صغيرة حمراء ، وسأله «ميجرية»:

ـ طاب صباحك .. هل نمت جيدا ؟

ولمعت عينا مستر « بايك » وقال باقتضاب :

ـ جدا .. وانت ؟..

وأحب « ميجريه » أن يداعب صديقه الانجليزى فقال :

ـ اظنك بروتستانتيا ؟..

وأجاب الانجليزى بجد :

ـ نعم أنا بروتستانتى ..!

وأغلق « ميجريه » احدى عينيه وهو يسأله :

ـ وفى هذه الحالة لا تحضر القداس فى الكنيسة الكاثوليكية !

وبمزيد من الجد قال « بايك » :

ـ بل ذهبت الى القداس الباكر ..

انتقل « ميجريه » الى موضوع آخر ، فقال وهو يثبت عينيه فى « بايك » :

ـ لا ادرى هل ستحب أن تأتى معى أم لا !

وظهرت الحيرة فى عينى « بايك » وقال :

ـ ولماذا ؟..

وافترت شفتا « ميجريه » عن ابتسامة ذات مغزى وهو يقول :

ـ الحقيقة انى انوى هذا الصباح أن اذهب لزيارة سيدةمعينة أعلم انك لست متلهفا على الاجتماع بها ..

وقطب « بايك » جبينه قليلا وقال :

ـ أذاهب انت هذا الصباح الى اليخت ؟

واكتفى « ميجريه » بهز رأسه ايجابا .. وكأنما تلقى « بايك »

www.ibtesamah.com/vb

اشارة تحد ، فاذا به يدفع الطبق بعيدا عنه ثم ينهض قائما ويتناول قبعته المصنوعة من القش التى اشتراها فى اليوم السابق من دكان العمدة اتقاء للشمس التى كادت تجعل وجهه فى مدى يومين فى مثل لون وجه الميجر ..

ولاحظ « ميجريه » مافى هذه الحركة من عزم وتصميم فقال بدهشة :

ـ أتنوى حقا أن تأتى معى ؟..

فقال « بايك » بهدوء يدل على الحزم :

ـ انى أضع فى اعتبارى أنك قد تحتاج الى مترجم !

وابتسم «ميجريه» لهذه الكناية التى يبرر بها الانجليزى فضوله..

وتدخل « ليشار » فى الحديث قائلا :

ـ وهل سآتى أنا أيضا ؟

وربت « ميجريه » على كتف « ليشار » وقال :

ـ طبعا يا عزيزى .. أريدك ان تأتى معنا ..

ثم صعد « ميجريه » نظره فى « ليشار » النحيل وسأله :

ـ أتستطيع ان تجدف فى زورق ؟ ..

ونفخ « ليشار » صدره الصغير ، وقال بزهو مضحك :

ـ كيف لا يا رئيسى وقد ولدت على ساحل البحر ؟!

واتجه الرجال الثلاثة الى ناحية المرفأ .. وهناك تقدم «ليشار» من أحد الصيادين الذين تعودوا الا يعملوا يوم الاحد ، وطلب منه أن يسمح له باستخدام زورقه . وحرص المفتش الماكر على أن يكون من الزوارق ذات المحرك حتى لا يتعرض لامتحان التجديف!

واتخذ الثلاثة مواضعهم فى الزورق .. واستطاعوا أن يروا « دى جريف » وصاحبته الفاتنة « أنا » يتناولان الافطار على ظهر زورقهما ..

وكأن البحر كان يشترك أيضا فى عطلة الاحد .. فها هو سطح الماء قد اكتسى لمعانا هادئا ، والزورق يشقه فينثر خطا من اللؤلؤ يلمع فى ضوء الشمس

وكانت السفينة « كورموران » تبدو فى الجانب الآخر من الافق راسية فى انتظار ركوب المسافرين لتأتى بهم الى الجزيرة ، وسطح

www.ibtesamah.com/vb

الماء الشفاف يبدو منه قاع البحر والاسماك الصغيرة تمرح بين صخوره ، والاجراس ترن دقاتها معلنة ابتداء القداس المتأخر ..

وبدا اليخت المسمى « كوكب الشمال » عن قرب أكبر حجما وأكثر ارتفاعا مما كان يتوقعه « ميجريه » . ولاحظ الثلاثة السكون التام فرفع « ليشار » صوته وهو يمد رقبته الى أعلى صائحا :

ـ هالو ! يا سكان اليخت ! ..

ومرت فترة غير قصيرة ، ثم برز رأس بحار من فوق الحاجز وقد غطى بصابون الحلاقة ، وفى يده موسى مفتوحة . وقال « ليشار » :

ـ الا نستطيع أن نقابل سيدتك ؟..

وقال البحار فى لهجة اعتذار :

ـ أليس فى وسعكم أن تأتوا بعد نحو ساعة مثلا ؟

وكان واضحا على مستر « بايك » أنه غير مستريح . وتردد « ميجريه » قليلا وهو يفكر فى تلك المرأة التى أصبحت جدة منذ أسبوع ، وأخذته الشفقة .. ثم قال للبحار :

ـ سننتظرها على ظهر اليخت حتى تستيقظ ..

ولم يترك «ميجريه» فرصة للبحار كى يجيب ، وقال لـ « ليشار»:

ـ اصعد أنت فى المقدمة يا ليشار ..

وهكذا صعد الرجال الثلاثة واحدا بعد الاخر الى ظهر اليخت ..

www.ibtesamah.com/vb

الفصل السابع عشر

أحاديث في الفن

كانت قمرة اليخت ذات كوات صغيرة مستديرة من النحاس . ومن احدى هذه الكوات رأى « ميجريه » وجـــه امرأة ملصقا بزجاجها من الداخل برهة . ثم لم يلبث ذلك الوجه أن اختفى فى العتمة التى تسود القمرة من الداخل ..

وبعد برهة أخرى ، فتح باب القمرة وبرز منه رأس « فيليب »، وشعره غير ممشط ، وعيناه منتفختان من أثر النوم وسأل بحدة :

ـ ماذا تريدون ؟ ..

وبهدوء تام أجابه « ميجريه » قائلا :

ـ لا نريد سوى التحدث مع مسز « ويلكوكس » حديثا موجزا

وبنفس الجلافة قال « فيليب » :

ـ انها لم تنهض من نومها بعد ..

وبهدوء أشد قال « ميجريه » :

ـ هذا ليس صحيحا ! ..

بمزيد من الاحتداد قال « فيليب » :

ـ ماذا تعنى ؟ ..

وابتسم « ميجريه » ابتسامة صفراء ، وقال :

ـ لقد لمحتها منذ برهة تطل من الكوة ..

وكان « فيليب » مرتديا بيجامة من الحرير الابيض بها أشرطة زرقاء .. وللقمرة التى وقف عند بابها بضع سلالم يجب أن يهبطها المرء كى يدخل من الباب . واتجه « ميجـريه » بخطوات ثقيـلة

www.ibtesamah.com/vb

تحمل كل معانى الاصرار نحو السلم وبدأ يهبط غير منتظر لدعوة أو اذن .. وقال :

ـ يمكننا طبعا أن ندخل ..

واصفر وجه « فيليب » وانهار صلفه .. ودخـــل الرجال الثلاثة وهو لايحرك ساكنا ..

وكان اليخت والقمرة مزيجا عجيبا للبـــذخ والفوضى .. من الذوق والاهمال . فالسطح نظيف كل النظافة والادوات النحاسية لامعة فى ضوء الشمس كالذهب الوهاج . والحبال ملفوفة بعناية، ومنصة القبطان بما فيها من بوصلة وعجلة للقيـــادة آية من ايات النظافة ، كأنها مطبخ هولندى ..

وأما القمرة فكانت مبطنة بخشب الموجنة الفاجر .. وبها مائدة مثبتة فى الارض وأريكتان وثيرتان من الجلد الاحمر . ولـــكن على تلك المائدة قوارير وكؤوس متناثرة وفتات خبز وبقايا سردين فى علب مفتوحة وأوراق لعب عليها بصمات دهنية . والجـــو ملىء برائحة مغثية هى مزيج من رائحة العرق البشرى ورائحة الكحول ، شبيهة بتلك الرائحة التى تنبعث من مواخير الفجور الرخيصة ..

وفى تلك القمرة باب يفضى الى قمرة أخرى تستخـــدم مخدعا للنوم . ولا ريب فى أن هذا الباب أغلق على عجل شديد ، لان مسز « ويلكوكس » نسيت فى فرارها خفا من الساتان اللامع مقلوبا على الارض ...

وبعد أن قلب « ميجريه » عينيه جيدا فى جميع أرجاء المـــكان القى نظرة حالمة على « فيليب دى موريكور » وقال :

ـ أرجو الا تؤاخذنا على هذا الاقتحام .. اترانا جئنـــا فقطعنا عليكما لذة الافطار ؟

ووجه عينيه على اثر هذا الســـــؤال الى زجاجة من البـــيرة الانجليزية بقى فيها نصفها ، والى قطعة من الزبد فى ورقة ، والى رغيف من الخبز به آثار اسنان ..

ومر الشاب الفرنسى بأصابعه بين خصلات شعره وقال :

ـ أهذا تفتيش رسمى ؟ ..

ووجه اليه « ميجريه » نظرته الحالمة ، وقال بصوت ناعم :

www.ibtesamah.com/vb

ـ لك ان تسميه باى اسم تشاء .. اما انا فاعتبرها حتى الآن زيارة .. زيارة واضحة صريحة ..

ورفع « فيليب » حاجبيه وقال :

ـ زيارة ؟ أفى هذه الساعة ؟

وابتسم « ميجريه » وقال :

ـ فى هذه الساعة هناك كثيرون من الناس أدركهم الكلال من كثرة ماقاموا به من نشاط ..

ومد الشاب شفتيه وقال :

ـ ولكن مسز « ويلكوكس » تعودت أن تصحو متأخرة ..

وترامى الى سمعهم صوت ماء فى الجانب الآخـــر من الباب المغلق . ولا شك أن « فيليب » كان يتمنى أن يذهب ليرتدى ثوبا لائقا . ولكن هذا التصرف يترتب عليه ازاحة النقاب عن الفوضى الفاضحة التى تسود حجرة النوم . وكانت بيجامته تحمل آثارا كثيرة من المستحسن أن يخفيها تحت روب ..

وبحركة آلية تجرع شيئا من البيرة .. وتسلل « ليشار » الى سطح اليخت بناء على اشارة خفية من « ميجريه » ولابد أنه شغل نفسه بأمر البحارين القائمين على خدمة اليخت ..

ولم يكن هذان البحاران انجليزيين كما هو المنتظر .. وانمـا هما من منطقة نيس ، ولعلهما ينتميان الى أصل ايطالى كما تدل على ذلك لهجتهما ..

وقال « ميجريه » لصديقه الانجليزى :

ـ فى وسعك أن تجلس يامستر « بايك » !

وكان « فيليب » قد أغفل دعوتهما للجلوس .. وانتقلت خواطر « ميجريه » بسرعة البرق الى جدته . فتذكر كيف كانت فى أيام الآحاد تذهب الى أول قداس فى الساعة السادسة صباحا ، حتى اذا استيقظ جميع من فى الدار وجدوها فى ثوبها الحريرى الاسود وعلى رأسها قلنسوة بيضاء .. والنار متأججة فى المدفأة والافطار معد فوق مفرش أبيض منشى ..

إن العجائز ينبغى أن يذهبن الى أول قداس . ولابد أنهن فى هذه الجزيرة أيضا ذهبن اليوم الى أول قداس . ولابد أنهن يغادرن

www.ibtesamah.com/vb

الكنيسة الآن الى دورهن وفى أردانهن وطوايا ثيابهن السود وقلنسواتهن البيضاء رائحة البخور ..

أما مسز « ويلكوكس » فقد شربت على الريق البيرة . وها هى خطواتها تروح وتجىء فى الجانب الآخر من الحاجز الخشبى لتصلح من زينتها المتبرجة التى لاتشبه فى شىء زينة العجائز أيام الآحاد

ووجه « فيليب » لم يزل متورما من اثر قبضة « بوليت » التى انهالت عليه فى الليلة السابقة . وتحولت نظرة « ميجريه » الحالمة عن وجه « فيليب » الى حوائط القمرة فاذا رسوم لم يستطع كبير المفتشين أن يكون فكرة محددة عن قيمتها الفنية . ولكن معظمها على كل حال تصور موضوعات جنسية من غير أن تتجاوز حدود الذوق السليم . وأخيرا أشعل « ميجريه » غليونه وسأل فجأة :

ـ كم عمر والدتك الان يامسيو « دى موريكور » ؟

وعلت البغتة وجه « فيليب » وسأله :

ـ لماذا تسألنى عن هذاالامر ؟

ومد « ميجريه » شفتيه وقال :

ـ ليس هناك سبب خاص .. ولكن على أساس عمرك لابد انها الان فى الحلقة الخامسة ؟

ـ فى الخامسة والاربعين ..

وظهرت الدهشة على وجه « ميجريه » وهو يقول :

ـ فقط ؟

ـ لقد انجبتنى وهى صغيرة جدا ، لانها تزوجت فى السادسة عشرة .. لهذا تبدو وكأنها أختى !

وعادت النظرة الحالمة تطل من عينى « ميجريه » وهو يسأل :

ـ فى هذه الحالة تكون مسز « ويلكوكس » أكبر منها سنا . أليس كذلك يامسيو « دى موريكور » ؟

وأطرق مستر « بايك » الى الارض وشعر بالتحرج .. وتمنى لو أنه كان على ظهر اليخت مع « ليشار » الذى يرى جالسا على الحاجز النحاسى مستغرقا فى الحديث مع أحد البحارين وهو ينظف مسامير اليخت ذات الرؤوس النحاسية الكبيرة ..

www.ibtesamah.com/vb

وأخيرا سمعت حركة عند الباب وانفتح ، فظهرت فى فرجته مسز « ويلكوكس » ثم أغلقته خلفها بسرعة لتخفى ما وراءه من الفوضى .. وكانت قد ارتدت ثيابها كاملة وطلت وجهها بالمساحيق الكثيرة . ومع هذا كان التعب واضحا فى ملامحها ، والقلق ظاهرا فى نظرتها . ولابد أن شكلها كان فظيعا عندما استيقظت والتجأت الى زجاجة من البيرة القوية كى تصلح بها مزاجها المعتل ..

ووجد « ميجريه » نفسه يفكر لاشعوريا فى جدته . ونهض فحياها وقدم اليها صاحبه قائلا :

ـ المستر « بايك » من مواطنيك ويعمل مفتشا فى ادارة سكوتلانديارد الشهيرة . ولكنه ليس هنا الان فى مهمة رسمية . وأرجو يامسز « ويلكوكس » أن تغفرى لى ازعاجى لراحتك فى مثل هذه الساعة المبكرة

وابتسمت ، وكانت نظرة واحدة منها كافية لاشعار « فيليب » ان مظهره فى « البيجامة » غير لائق . فقال وهو ينظر نظرة حانقة الى كبير المفتشين :

ـ باذنكم ريثما ارتدى ثيابى ...

فقال « يجريه » على الفور :

ـ طبعا .. طبعا .. ولعلك تشعر بمزيد من الارتياح عندئذ..

وقالت مسز « ويلكوكس » باسمة :

ـ اجلسا ايها السيدان .. أهناك شىء استطيع أن اقدمه لكما ؟

ونظرت الى غليون « ميجريه » وقالت :

ـ استمر فى التدخين .. وأنا ايضا سأشعل لنفسى سيجارة

وتكلفت الابتسام وهى تنظر الى السائدة وقالت :

ـ وأرجو أن تغضيا عن الفوضى السائدة هنا ، فاليخت ليس كالبيت ، والحيز فيه محدود ..

وتساءل « ميجريه » فيما بينه وبين نفسه عما عساه يدور الان فى ذهن مستر « بايك » اتراه يظنه فظا غليظ القلب ؟

انه على كل حال ليس فخورا جدا بالمهمة التى يرى نفسه الان مضطرا الى القيام بها .. واستجمع أعصابه ليسأل السيدة :

www.ibtesamah.com/vb

ـ اعتقد انك تعرفين « جيف دى جريف » يامسز «ويلكوكس»
فقالت الانجليزية العجوز على الفور :
ـ انه شاب بارع .. و « انا » فتاة حلوة دمثة . وقد حضرا الى اليخت جملة مرات ..
وقال « ميجريه » بلهجة تبدو عادية :
ـ يقال انه رسام موهوب ..
فقالت مسز « ويلكوكس » باقتناع :
ـ اعتقد انه موهوب فعلا . وقد سنحت لى الفرصة فاشتريت منه لوحة كان يسعدنى ان أريها لكما لولا اننى ارسلتها الى الفيلا التى أملكها فى فلورنسا ...
وسألها « ميجريه » وهو يتصنع الاهتمام :
ـ الك اذن فيللا فى ايطاليا ؟ ..
فانبسطت أسارير مسز « ويلكوكس » وهى تقول :
ـ انها فيللا صغيرة متواضعة ، ولكن موقعها رائع .. فهى مشيدة على قمة تل . ومن نوافذها تبدو فلورنسا بأكملها لعين الناظر .. هل زرت فلورنسا ؟
وابتسم « ميجريه » وقال بتواضع :
ـ لم يكن لى هذا الحظ ..
واستطردت مسز « ويلكوكس » تقول :
ـ انى أقيم هناك جانبا كبيرا من السنة . والى هناك ارسل بكل شىء مما قد أشتريه من الصور أو التحف الصغيرة اثناء تجوالى باليخت
وكان قد سرى عنها من أثر المفاجأة ، فقالت :
ـ الا تريدان حقا ان تشربا شيئا ؟
وكانت هى شخصيا تشعر بالظمأ ، وقد اتجهت نظراتها الى الزجاجة التى لم يتسع امامها الوقت لشربها ولم تجسر على الشراب وحدها ...
ـ الا تحبان حقا ان تجربا جرعة من هذه البيرة التى استحضرها خصيصا من انجلترا مباشرة ؟ ..
واراد « ميجريه » ان يرضيها فوافق .. واتجهت هى الى

www.ibtesamah.com/vb

ثلاجة صغيرة فى ركن القمرة ، واستخرجت منها زجاجة أحضرتها الى المائدة ..

وسألها « ميجريه » وهى تصب له كوب البيرة :

ـ اخالك اشتريت أشياء كثيرة فى غضون أسفارك ؟

فضحكت وقالت بشىء من الزهو :

ـ من أخبرك ؟ انى فى الحقيقة أشترى فعلا الاشياء لمجرد لذة الشراء من غير ان تكون هناك حاجة حقيقية الى تلك الاشياء ، فانا مثلا حين أذهب الى اسطنبول أسمح لنفسى بمجاراة البائعين حين يغرونني فى اسواقها بشراء اشياء سخيفة عجيبة تبدو لى فى حينها جميلة .. حتى اذا ذهبت فى نهاية الرحلة الى فلورنسا لم اجد فيها جمالا .. !

وانتقل « ميجريه » مرة أخرى الى موضوعه الاول :

ـ وهل التقيت فى باريس بدى جريف ؟

فقالت على الفور :

ـ كلا .. هنا فقط .. ومن مدة طويلة ..

وبسرعة وبراءة سألها :

ـ وسكرتيرك ؟ منذ متى التقيت به ؟

وبغير تردد أيضا أجابته :

ـ له فى صحبتى الان سنتان .. وهو فتى مثقف جدا ..

ـ وأين تعرفت به ؟ ..

ـ تعرفت به فى « كان » ..

وبصوته الناعم الهادىء واصل الاسئلة :

ـ وهل كان يعمل وقتئذ ؟ ..

ـ كان يراسل صحيفة باريسية ..

وقدر « ميجريه » ان « فيليب » يلصق اذنه بالحاجز الخشبى ليسترق السمع .. ولكنه استطرد فى الحديث بصورة طبيعية :

ـ انك تتكلمين الفرنسية باجادة تامة يامسز « ويلكوكس » !

وسرت لهذا الاطرء وقالت :

ـ قضيت جانبا من صباى فى باريس .. وتلقيت فيها قسما كبيرا من تعليمى . وكانت مربيتى منذ ولادتى فرنسية ..

www.ibtesamah.com/vb

وقفز « ميجريه » بأسئلته فجأة قائلا :

ـ وهل كان « مارسلان » يأتى كثيرا الى اليخت ؟

وأجابت بلا تردد :

ـ طبعا .. واظن ان كل من فى الجزيرة تقريبا كانوا يترددون على اليخت لزيارتى ...

ـ وهل تتذكرين الليلة التى مات فيها ؟

وعلى الفور أجابت بهدوء تام :

ـ أظن هذا ..

وعنى « ميجريه » بالنظر الى يديها .. ولم تكن بهما رجفة ..

ـ لقد تحدثت عنى كثيرا تلك الليلة ..

ـ هـذا ماقيل لى ... ولم أكن أعـرف من أنت ، فسـألت « فيليب » ..

ـ وهل كان يعرفنى ؟ ..

وابتسمت وهى تجيبه قائلة :

ـ يبدو أنك معروف جدا ..

ـ وعندما غادرت « سفينة نوح » ..

ـ اكمل ...

ـ هل كان « مارسلان » قد انصرف قبل ذلك ؟

وأجابت بلهجة صريحة :

ـ ليس فى وسعى أن أحدد هذا .. فكل ما أعرفه عن يقين اننا اتجهنا الى المرفأ لائذين بالبيوت لان رياح « المسترال » كانت تهب بشدة . بل انى كنت أخشى الا نستطيع العودة الى اليخت تلك الليلة ..

وبسرعة .. ولكن بلهجة عادية جدا سألها :

ـ هل ذهبتما مباشرة الى الزورق أنت والمسيو «دى موريكور»؟

فأجابت بلهجة قاطعة :

ـ فورا .. وماذا كان أمامنا أن نصنع سوى ذلك ؟ آه !.. ان هذا يذكرنى الان أن « مارسلان » جاء معنا حتى الزورق ..

ـ ألم تقابلوا أحد فى الطريق ؟ ..

ـ لم يكن من الممكن أن نجد انسانا فى العراء فى تلك الساعة

www.ibtesamah.com/vb

ـ وهل كان « دى جريف » و « أنا » قد عادا الى زورقهما ؟

فزوت مابن حاجبيها وقالت :

ـ ربما .. لا اذكر تماما .. انتظر ..

وعندئذ ذهل « ميجريه » لسماع صوت مستر « بايك» الواضح يرتفع لاول مرة سامحا لنفسه بالتدخل فى الاستجواب ، ليقول بأناة شديدة ولكن من غير أن يظهر اهتماما شديدا :

ـ فى انجلترا يا مسز « ويلكوكس » يكون من الواجب علينا أن نذكرك فى مثل هذا الموقف أن أى شيء تتفوهين به قد يستخدم قرينة ضدك !

ونظرت اليه مسز « ويلكوكس » مأخوذة . ثم نظرت الى « ميجريه » وقد أطلت نظرة ذعر من عينيها وسألته :

ـ هل هذا استجواب ؟ .. ولكن خبرنى ياكبير المفتشين .. لا اخالك ترتاب فينا ؟ أيخطر ببالك أن تشتبه فى « فيليب » وفى أننا قتلنا ذلك الرجل ؟

وسكت « ميجريه » برهة وهو يقلب غليونه مفكرا ثم قال :

ـ أنا لا أشتبه فى أحد مقدما يامسز « ويلكوكس » .. ولكن هذا على كل حال استجواب .. ومن حقك ألا تجيبى ..

فقالت بدهشة واضحة :

ـ ولماذا لا اجيب ؟ لقد عدنا مباشرة . واذكر أن الماء تسرب الى الزورق واضطررنا للتعلق بالسلم كى نتسلق الى سطح اليخت ...

وسألها « ميجريه » :

ـ ألم يغادر « فيليب » اليخت بعد ذلك ؟

وظهر التردد فى عينيها ، لان حضور مواطنها جعلها تشعر بالقلق والحرج .. ولكنها قالت اخيرا :

ـ لقد ذهبنا مباشرة الى الفراش . ولم يكن فى استطاعته أن يغادر اليخت من غير أن اشعر بذلك ..

واختار « فيليب » هذه اللحظة بالذات ليدخل فى بنطلون من الفانلة البيضاء . وقد رجل شعره وحلق ذقنه وفى فمه سيجارة مشتعلة . وكان واضحا انه يريد أن يبدو شجاعا ، فوجه الخطاب

www.ibtesamah.com/vb

الى « ميجريه » مباشرة :
ـ الديك أسئلة تريد أن توجهها الى ؟
ولكن « ميجريه » تظاهر بأنه لم يفطن لوجوده ، واستطرد :
ـ وهل كثيرا ماتشترين اللوحات الفنية ياسيدتى ؟
ـ فى أحيان كثيرة جدا .. فهذه احدى هواياتى المفضلة . . صحيح أننى لا أملك مايسمى متحفا للصور ، ولكن مع هذا عندى مجموعة قيمة منها ..
وهز « ميجريه » راسه وقال :
ـ أتحتفظين بها فى فلورنسا ؟ ..
ـ نعم فى فلورنسا ..
وكأنما هو مهتم بالفنون ليس الا ، وهو يسألها :
ـ لأساتذة الفن الايطاليين ؟ ..
وضحكت مسز « ويلكوكس » وقالت :
ـ لم أرتفع الى هذا المستوى .. بل أنا أكثر تواضعا ، وأروض نفسى على القناعة بأعمال فنية أقرب الى العصر الحديث ..
وسألها « ميجريه » وهو يتعمد التحديد :
ـ من آثار « سيزان » و « لينوار » ومن اليهما مثلا ؟
فقالت بفخر :
ـ عندى فعلا لوحة صغيرة بديعة بريشة « لينوار » ..
وكأنما زاد اهتمام « ميجريه » بمقتنياتها الفنية :
ـ و«دى جاس » ؟ و« ماينة » ؟ و « موينه » ؟
ـ عندى رسم تخطيطى من عمل « دى‌جاس » .. صورة راقصة
وبمزيد من الوضوح وبايجاز سألها :
ـ و « فان جوخ » ؟
ولم ينظر اليها وهو يسألها بل حدق مباشرة فى وجه « فيليب» الذى بدا وكأنه يجد صعوبة فى ابتلاع ريقه .. وجمدت نظرته تماما ..
وببساطة تامة لا تخلو من دهشه خفيفة قالت :
ـ لقد اشتريت أخيرا احدى لوحات « فان جوخ » ..
وأقفل عينيه قليلا ، وهو يسألها بشىء من الحدة :

www.ibtesamah.com/vb

ـ منذ متى بالضبط ؟ ..
ـ منذ بضعة أيام ..
وحولت وجهها الى صاحبها ، وسألته ببساطة :
ـ متى ذهبنا الى هاير لنرسلها بالبريد يا « فيليب » ؟
وأجابها « فيليب » بصوت شاحب :
ـ لا أذكر بالضبط ..
وتدخل « ميجريه » قائلا :
ـ ألم يكن ذلك قبل مقتل « مارسلان » بيوم او يومين ؟
وكانت مسز « ويلكوكس » هى التى أجابت قائلة بوضوح وثقة :
ـ قبل مقتله بيومين .. أتذكر هذا الآن تماما ..
وثبت « ميجريه » عينيه فى عينيها ، وهو يسألها :
ـ وهل وجدت هذه الصورة هنا فى الجزيرة ؟
ومن غير أن تفكر قالت :
ـ كان « فيليب » هو الذى ...
ثم عضت على شفتيها .. وأدركت من سكوت الرجال الثلاثة شيئا .. فجعلت تنقل عينيها بينهم وأخيرا صاحت :
ـ ما المسألة يا « فيليب » ؟ بواسطة صديق لك...
ثم وثبت واقفة ، وتقدمت نحو كبير المفتشين وهى تصيح :
ـ هل تعنى .. وضح لى الامر ! تكلم ! لماذا لا تقول شيئا ؟
والتفتت بحدة نحو صاحبها وصاحت :
ـ « فيليب » ؟ ما الحكاية ؟ ..
وظل « فيليب » جامدا كالتمثال ..
وقال « ميجريه » بهدوء :
ـ عفوك يا سيدتى .. ولكن لابد لى من أن آخذ سكرتيرك معى . .
واتسعت حدقتاها وهى تصيح :
ـ أتلقى القبض عليه ؟ .. ولكنى أؤكد لك انه كان هنا ، ولم يفارقنى طول الليل وأنه ...
والتفتت الى باب حجرة النوم .. وشعر الرجلان أنها توشك

www.ibtesamah.com/vb

ان تفتح البـاب على مصراعيـه لتريهما السرير الكبـير المزدوج وتصيح :

ـ كيف بالله يمكن أن يذهب من غير أن اعلم ؟

ونهض « ميجـريه » ومستـر « بايك » واقفـين . ثم قال « ميجريه » :

ـ ألا تأتى معى يامسيو « دى موريكور » ؟ ..

وقال الفتى بصوت شاحب :

ـ ألديك أمر من النيابة بالقبض ؟

وبهدوء تام قال « ميجريه » :

ـ سأطلب من قاضى التحقيق ذلك الامر ، ان كنت مصرا على هذا .. ولكن لا أظن أن الامر يستدعى ذلك ..

وقال الفتى بصوت مترنح :

ـ أتقبض على ؟

وهز « ميجريه » راسه سلبا وقال :

ـ حتى الآن ، لا ..

وبدهشة مرتجفة سأله « فيليب » :

ـ الى أين ستأخذنى اذن ؟ .

واشار « ميجريه » بذراعه الى المكان وقال :

ـ سآخذك الى موضع آخر نستطيع فيه ان نتحدث معا بمزيد من الهدوء والسكينة .. الا ترى أن هذا يكون أليق وانسب ؟

وقبل أن يجيب الفتى ، صاحت مسز « ويلكوكس » :

ـ أصدقنى القول يا « فيليب » ..

وكانت السيدة المسكينة قد انطلقت من غير أن تشعر تتحـدث اليه بالانجليزية .. ولكن « فيليب » لم يكن مصغيا اليها .. لم يعد يفكر فيها ..

وعندما صعد الدرجات المفضية الى سطـح اليخت لم يلتفت اليها لتحظى منه ولو بنظرة توديع ..

ووجد الشجاعة اخيرا ليقول لـ « ميجريه » مكابرا :

ـ هذا التصرف لن يؤدى بك الى كبير جدوى ..

www.ibtesamah.com/vb

الفصل الثامن عشر

الصمت الأخير

عند باب دكان العمدة ، وقف « ميجريه » ليطلب منه مفتش قاعة البلدية .. وكان العمدة مشغولا فى خدمة الزبائن ، فصاح بزوجته ان تبحث عن المفتاح . واستغرقت زوجته النحيلة الشاحبة الوجه وقتا طويلا فى البحث . وكان « فيليب » طوال ذلك الوقت واقفا بين « ميجريه » و « بايك » متجهم الوجه ، أشبه ما يكون بتلميذ مذنب بين يدى ناظر المدرسة القاسى ..

وما كان الانسان ليصدق ان الباخرة كورمورآن جلبت فى ذلك اليوم كل هذا العدد من الناس ، فالميدان يبدو من شدة الزحام وكأنه قد تعرض فجأة لحركة غزو ! ..

وشوهدت « انا » داخل حانوت الشركة التعاونية وفى يدها حقيبتها المصنوعة من الشباك ، وقد ارتدت بنطلونا أبيض وقميصا يكشف عن الصدر والظهر .. اما « دى جريف » فكان جالسا مع « شارلو » على شرفة سفينة نوح

وشاهد هذان الرجلان « فيليب » وهو يمر بين هذين المفتشين وتتبعا الموكب الصغير بعيونهما من موضعهما على جانبى المائدة وفيما بينهما زجاجة من النبيذ المثلج ..

وكان « ميجريه » قد قال شيئا بصوت منخفض للمفتش « ليشار » فتخلف وترك الرجال الثلاثة وحدهم .. واخيرا احضرت زوجة العمدة المفتاح . وبعد دقائق معدودة كان «ميجريه» يدفع باب قاعة البلدية ، ثم اسرع على الفور يفتح النافذة ليطرد التراب والرطوبة . ثم قال :

ـ اجلس يا « موريكور » ..

www.ibtesamah.com/vb

فسأله « فيليب » ليتهكم :
ـ أهذا امر ؟ ..
فقال « ميجريه » بهدوء :
ـ بالضبط !
ودفع اليه مقعدا صغيراً .. ويبدو أن « بايك » أدرك ان كبير المفتشين لا يحب فى مثل هذه الظروف ان يرى الناس واقفين ، فقد تناول مقعدا ووضعه فى ركن واستقر فيه ..
ووجه « ميجريه » الكلام الى « فيليب » :
ـ أليس عندك ما تقوله لى ؟ ..
ـ هل انا تحت التحفظ الآن ؟ ..
وبهدوء أجابه « ميجريه » :
ـ نعم ..
فسأله الشاب بلهفة :
ـ ولكننى لم أقتل « مارسلان » ..
ـ ماذا تريد أيضا ان تقول ؟ ..
ـ لا شيء .. لن اقول شيئا اكثر من هذا . وفى استطاعتك أن تستجوبنى ما شئت الى ان تشفى غليلك ، وان تستخدم الوسائل الوضيعة التى تحت تصرفك لتحمل الناس على الكلام .. ولكنى لن أقول شيئا ..
ولم يجلس كبير المفتشين ، بل جعل يمشى فى القاعة على غير هدى ، ويلمس بين الحين والحين الاعلام وتمثال الجمهورية . ووقف لحظة امام النافذة ينظر الى زحام الوافدين على الجزيرة .. وتبين بعض السكان وقد ارتدوا ثياب الاحد النظيفة يتبارون فى لعب « السيجا » وها هو ذا المسيو « اميل » يتجه نحو مكتب البريد بخطواته الوئيدة ..
واخيرا وقف « ميجريه » بقامته الهائلة بجوار « فيليب » وقال :
ـ اظنك مدركا انك فأر صغير ؟
ورفع الشاب بلا تفكير يديه ليغطى وجه . وآستطرد « ميجريه »:
ـ أنت فأر صغير مذعور ، جبان .. هناك أشخاص يقتحمون البيوت ويجازفون بأرواحهم . وهناك آخرون يتخصصون فى

www.ibtesamah.com/vb

الاحتيال على العجائز ويسرقون منهم الكتب النادرة لبيعها ، حتى اذا قبض عليهم راحوا يبكون ويصرخون ويطلبون العفو والصفح من اجل خاطر امهاتهم المسكينات ! ..

وبدا على مستر « بايك » انه ينكمش ويتضاءل حتى لايحدث أى حركة تزعج زميله الفرنسى ..

وقال « ميجريه » :

ـ من هو الذى اقترح فكرة اللوحات المزورة يا « موريكور » ؟

وزاغت عينا « فيليب » وهو يقول :

ـ لن أجيب الا فى حضور محام ؟ ..

ـ آه .. حتى تتكبد أمك العاثرة الحظ مالاتطيق لتوكل لك محاميا مشهورا . فلابد لمن يحمل اسمك أن يدافع عنه محام مشهور .. أليس كذلك ؟ انت مخلوق كريه يا « موريكور » !

وشرع « ميجريه » يتمشى فى القاعة مرة اخرى ويداه وراء ظهره ، فزاد الشبه بينه وبين ناظر مدرسة غاضب . ثم قال :

ـ كان معى فى المدرسة ، وانا تلميذ ، غلام مثلك .. لم يكن يستقيم أمره الا « بعلقة » مليحة بين الحين والحين . وكان المدرس يتعمد أن يدير لنا ظهره أو يغادر الفناء حين نضرب هذا الولد المائع . وقد نلت « علقة » امس مساء ولم تتحرك فيك النخوة . وظللت فى مكانك ترتجف بجوار المرأة العجوز التى تعولك . وكنت أنا الذى طلبت من « بوليت » أن يضربك هذه العلقة لاننى اردت أن أرى رد الفعل الذى ستحدثه لديك « العلقة » .. ذلك انى لم اكن متأكدا من ظنونى ..

وقال « فيليب » فى خوف :

ـ وهل فى نيتك أن تضربنى الآن أيضا ؟

ـ هناك فيران حقيرة من أمثالك يا « موريكور » . ومنهم من تعجز عن اثبات التهمة عليهم وزجهم فى السجن ، ولكنى أصارحك الآن انى سأبذل كل مافى وسعى كى القى بك فى السجن ! ..

وراح يتمشى من جديد .. وتعمد أن يستدير فجأة نحو الشاب عشر مرات .. وفى كل مرة كان الشاب يجفل ويرفع يديه بحركة لا ارادية لحماية وجهه من الصفع !

www.ibtesamah.com/vb

ـ اعترف انك انت صاحب الفكرة فى تزوير اللوحات ، لانك ستنتهى الى الاعتراف ولو اقتضانى هذا ان اقضى معك ثلاثة أيام وثلاث ليال . وقد سبقت لى التجربة مع من هم أصلب منك عودا .. حتى لقد اجتمع ستة منا على أحدهم ، كل منا فى نوبته وظللنا نستعمل معه وسائلنا ستا وثلاثين ساعة. وكان مثلك أنيقا حسن المظهر متبجحا .. فهل تدرى كيف اكتشفنا فى النهاية انه انهار ؟ .. من رائحته ! رائحة كريهة مثله ! لقد انتهى المكابر بأن أفرغ فضلات امعائه فى بنطلونه ! وكان بنطلونا جميلا أبيض اللون كبنطلونك هذا ! .. والان ! اخلع رباط عنقك !

ـ لماذا ؟ ..

ـ اتريدنى أن أخلعه لك بيدى ؟ ..

وصدع « فيليب » بالامر :

ـ هذا افضل ! .. والان اخلع حذاءك . وبعد قليل ستشعر بالاثم حتما ! ..

ـ ليس من حقك ! ..

ـ اخلع حذاءك والا توليت أنا الامر بطريقتى ! وجوربك أيضا ! لقد كنت تفكر فى طريقة تبتز بها مزيدا من أموال المرأة العجوز التى تعيش فى كنفها . وربما وجد محاميك فى نفسه ما يخول له المحاورة والمداورة فى المحكمة لان مثلها يستحق أن يستغفل ، ولأن القانون لم يجعل لحماية المغفلين ، ولا سيما اذا كانوا نساء ثريات عجائز لا يعرفن الحياء أمام رغائب أجسادهن . وهذا ليس من شأننا فى الحاضر . وعلى المحلفين فى المحكمة ان يفصلوا فى هذه المسألة ، والمهم الان أنك أردت استغلال غناها وغفلتها وجهلها كى تحصل على أموال طائلة منها بالاحتيال .. فاتفقت مع «دى جريف» واخالك أنت الذى حملت « دى جريف » على المجىء الى هذه الجزيرة ..

ـ وهل « دى جريف » قديس طاهر الذيل ؟

ـ أعلم أن « دى جريف » فأر من نوع آخر .. كم لوحة مزورة صنعها لعجوزك البلهاء ؟ ..

ـ قلت لكأننى لن اقول شيئا ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ ان لوحة « فان جوخ » لا يمكن ان تكون هى الاولى ، ولـــكن الذى حدث صدفة أن شخصا ما عرف أمر هذه اللوحة بالذات . وربما كان ذلك قبل الفراغ من رسمها.. وكان من عادة«مارسلان» ان يتجول على غير هدى برا وبحرا ، وان يتسلق القوارب واليخوت على غير هدى كلما عن له ذلك .. واخاله فاجأ الهولندى ، وهو يوقع لوحة باسم غير اسمه .. ثم بعد ذلك رأى تلك اللوحة بعينها لدى مسز « ويلكوكس » . واستغرق « مارسلان » وقتا الى أن أدرك سر الحيلة . ولم يكن متأكدا من الامر لانه لم يسمع من قبل باسم « فان جوخ » .. فاتصل تليفونيا بصديقة له لتعثر له على المعلومات الكافية عن ذلك الرسام ..

وكان « فيليب » مطرقا الى الارض ، وعلى وجهه نظرة ذهول . وفجأة قال له « ميجريه » :

ـ انا لا أقول انك انت الذى قتلته ..

ـ وانا لم أقتله ..

ـ ولعلك أجبن من أن تقدم على مثل ذلك الجرم .. وحدث « مارسلان » نفسه قائلا : « مادام هذان الشابان يجمعان ثروة من اموال هذه المرأة . . فماذا يمنعنى من أن أكون ثالثهما ؟ » . وعرض عليك ذلك التحالف الثلاثى ، فرفضت انت العرض . . وعندئذ بدأ يكثر من ذكر صداقته « لميجريه » كبير مفتشى المباحث الجنائية على سبيل التلميح والوعيد .. والان ما المبلغ الذى طلبه « مارسلان » يا « موريكور » ؟

ـ لن أجيب ..

ـ لدى متسع من الوقت .. وفى تلك الليلة قتل « مارسلان »!

ـ عندى اثبات بأننى فى ذلك الوقت لم أكن فى مكان الحادث ..

ـ وهذا الاثبـــات انك فى وقت مصرعه كنت فى فراش الجدة العجوز ! ..

ان الشمس رائعة فى الميدان .. والزحام على اشده فى « سفينة نوح » . ولابد أن « دى جريف » لم يزل هناك .. ولعل « انا » انضمت اليه ، ومعها حقيبتها ملآنة بالسلع والمأكولات . و«ليشار» جالس الى المائدة المجاورة يرقبه .. وسيتدخل عند اللزوم لمنعه

www.ibtesamah.com/vb

من الانصراف ..

اما « شارلو » فلا شك انه أدرك الان انه جاء متـــأخرا الى المسرح ، فقد كان هو ايضـا يريد ان يظفر بنصيبـه من غنيمة الشابين !

ـ الا تنوى أن تتكلم يا « فيليب » ؟ ..

ـ كلا ..

ـ لاحظ اننى لا أقص عليك هذا الكلام للتسلية ، ولا للاستدراج وأنا لم أقل لك ان تحت يدنا الدليل القاطع ، وأن « دى جريف » قد التقم «الطعم» .. انك ستتكلم فى النهاية لانك جبان . اعطنى علبة سجائرك !

وأخذ « ميجريه » علبة السجائر من الشـــاب وألقى بها من النافذة ثم قال :

ـ هل لك يامستر « بايك » أن تؤدى لى خدمة ؟

ـ بكل سرور ..

ـ أرجو أن تتفضل بالذهاب الى « ليشار » فى شرفة « سفينة نوح » وتطلب منه أن يحضر الى هنا الشاب الهولندى .. يحضره وحده من دون فتاته . وأريد أيضا أن تحضر « جـوجـو » لنا زجاجات من البيرة المثلجة ..

وحرص «ميجريه» أثناء غياب زميله الانجليزى ألا يقول شيئا . واكتفى بالتمشى فى الحجرة ويداه خلف ظهره . ولما اقبل الشاب الهولندى باذره قائلا :

ـ ادخل يا « دى جريف » .. انك لاترتدى رباط عنق . وهذا أسهل . اخلع حذاءك واعطنى رباطه ..

ـ هل أنا تحت التحفظ ؟ ..

واكتفى « ميجريه » بهز رأسه ، ثم قال :

ـ اجلس .. كلا ليس هنا . ابتعد عن صاحبك « فيليب » . واعطنى سجائرك ، واعطنى أيضا هذه السيجارة المشتعلة فى فمك

ـ الديك أمر من النيابة بالقبض على ؟ ..

ـ سأستصدر هذا الامر برقيا .. باسميكما ..

ثم جلس فى المقعد المخصص للعمدة حين يعقد الزواج وقال :

www.ibtesamah.com/vb

ـ أحدكما قتل « مارسلان » .. وليس من المهم أيكما الذى قتله فأنتما شريكان ..

وأقبلت « جوجو » تحمل زجاجات البيرة والاكواب . ثم وقفت مبهوتة أمام الشابين .. فقال لها « ميجريه » بلطف :

ـ لا تخافى يا « جوجو » .. فهمـــا قاتلان حقيران . ولـكن لا تخبرى أحدا فى الوقت الحاضر بأمرهما حتى لا يتجمع النـاس حولنا فى هذا اليوم المزدحم ! ..

وانصرفت « جوجو » ، وقال « ميجريه » بأناة وقد لاحظ ان الهولندى فى منتهى الهدوء والثبات :

ـ لعل الاوفق أن أترككما تسويان الامر فيما بينكما .. فأحدكما سيفقد رأسه والآخر سيدخل السجن مدى الحياة ، أو لبضـع سنوات على الاقل . ولو كان الامر بيدى لسويت بينكما فى العقوبة

***

وظل « دى جريف » ساكنا لايتحرك .. أما « فيليب » فازداد قلقه وذعره . وأخيرا قال « ميجريه » :

ـ اعترف يا « دى جريف » انك لم تقدم على هذا العمل طمعا فى المال ، وانك كنت تتلذذ بالتزوير من أجـل التزوير .. ولكى تثبت أنك ند فى البراعة الفنية لاستاذ عظيم ، ولست ناشئـا أو فاشلا كما يزعم أهلك عنك . وسنبعث الى فلورنسا لاستحضار جميع ما زورته من آيات الفن .. وسيملأك الزهو والاختيال حين ترى خبراء الفن تتملكهم الحيرة أمام هذا الاتقان العظيـم ، وانى أراهن يامسيو « دى جريف » أنك مسرور فى اعماقك لافتضاح الحيلة ، فأى فخر لك طالما ان التزوير سر دفين بينك وبين صاحبك .. كيف كانت الدنيا ستعلم مبلغ براعتك .. وأما حياتك فأنت لا تحبها ..

وعندئذ قال الفتى الهولندى :

ـ لا أحب حياتى ولا حياتك ولا الحياة التى كان يريدنى الناس على أن أحيـاها !

ـ انت لاتحب شيئا ..

ـ حتى نفسى ! ..

www.ibtesamah.com/vb

ـ ولا حتى تلك الفتاة التى انتزعتها من اهلها لمجرد التحدى وتلطيخ شرف ذويها الامجاد ! ترى منذ متى وانت تتمنى ان تقتل انسانا ! ؟ لا من اجل المال ، ولا اضطرارا ، لا لتقضى على شاهد يتهددك بالخطر .. انما اتكلم عن القتل للقتل .. القتل رغبة فى معاناة تجربة القتل . ولهذا ضربت الجثة بمطرقة بعد ان فارقتها الروح لتثبت لنفسك قوة أعصابك وعدم مبالاتك

وتراءت ابتسامة صفراء على شفتى الهولندى . و « فيليب » يرقبه مبهوتا ، وهو لايكاد يفهم شيئا .. واستطرد « ميجريه » :

ـ أتريد الان أن أتنبأ لك بما سيحدث ؟ لقد قررتما أن تحفظا السر .. وأنتما تعتقدان أنه لا دليل ضدكما ، فليس هناك شاهد واحد على مقتل « مارسلان » . ولم يسمع احد اطلاق النار بسبب رياح « المسترال » . ولم يعثر على السلاح الذى استخدم فى الجريمة .. ولعله الآن فى قاع البحر . وعلى كل حال لم اكلف نفسى عناء البحث عنه . وقاضى التحقيق سيستجوبكما بصبر لا مزيد عليه . وستتحدث عنكما الصحف زمنا طويلا ، ولن يفوتها أن تنوه بانتمائكما الى أسرتين عريقتين .. وستشيد الصحف يا « دى جريف » بمواهبك المجهولة ، وتسلط الاضواء عليك باعتبارك شخصية يكتنفها الغموض وسوء التقدير فتذيع بعد ذلك شهرتك فى عالم الفن ! وسيتحدث الناس عن ديوانى الشعر اللذين نشرهما « موريكور » وتذيع شهرته فى عالم الادب .. وسيتقاطر مندوبو الصحف على القاضى العظيم فى هولندة وعلى مدام « دى موريكور » فى الريف . وستصبح مسز « ويلكوكس » أضحوكة .. وستبذل سفارة انجلترا مساعيها لدى ادارة الصحف كى تغفل ذكر اسمها قدر الامكان !

وشرب « ميجريه » نصف كوب من البيرة جرعة واحدة . ثم ذهب وجلس على حاجز النافذة وظهره الى الميدان المشمس وقال :

ـ ان « دى جريف » سيظل متشبثا بالصمت ، لانه لا يشعر بالخوف .. أما انت يا « فيليب » فستتكلم لانك جبان !

والتفت « دى جريف » الى صاحبه وعلى فمه ابتسامة مبهمة. واستطرد « ميجريه » قائلا :

www.ibtesamah.com/vb

ـ ستتكلم أنت يا « فيليب » .. وربمـــا ليس اليوم . ولكن غدا عندما تجد ثلة من رجال البوليس غلاظ الأكباد يستجوبونك بقبضات ايديهم .. ولكنك لا تحب الضرب يا « فيليب » !

ـ ولكن ليس لهم الحق ...

ـ وهل كان لك الحق فى أن تبتز أموال امرأة عجوز ؟

ـ أنالم أكن فى الجزيرة عند وقوع الجريمة .. أما هـو فكان فى الجزيرة ..

ـ ان كنت أنت فى أحضان الجدة العجوز وقتئذ ، فلديه أيضـا « انا » التى ستقول انه لم يفارق أحضانها ..

وألقى « ميجريه » نظرة من النافذة ، فوجد حركة الغداء على أشدها فى « سفينة نوح » . ولا شك أن « جوجو » لم تعقل لسانها .. فها هى مجموعات من الناس بدأت تحوم حول قاعة البلديةولن تلبث طويلا حتى تتحول الى حشد كبير . فقال لـ « بايك » :

ـ ما رأيك فى أن نتركهما وحدهما تحت حراســة « ليشار » ونذهب لنتناول الغداء ؟

وخرج الاثنان فعلا الى الميدان الدافىء ، متجهين الى « سفينة نوح » . ولاحظ « ميجريه » صمت « بايك » فسأله :

ـ أتشعر بالشفقة عليهما ؟ ..

وهز « بايك » كتفيه ولم يجب ..

وما أن جلسا الى المائدة حتى شاهدا « شارلو » ينهض ويذهب على عجل الى المرفأ . وتابعه « ميجريه » بنظراته ثم قطب جبينه ، وأنطلق فى اثرة وفى اعقابة مستر « بايك » الذى لم يفهم من هذه الحركات شيئا . وفى المرفأ وجدا « شارلو » يصعد الى اليخت الصغير المسمى « زهرة الحب » ويطل داخل القمرة ثم يدخل ويخرج منها بسرعة حاملا فوق زراعيه شيئا ..

وعندما أدركه المفتشان تبينا فى الجثة تلك الحسناء الصـــغيرة « انا » وقد القى على الارض انبوب فارغ به حبوب منومة ..

وحضر الطبيب على عجل .. ولكن لم يكن الناس بحاجة اليه لكى يعرفوا أنها فارقت الحياة ..

واخترق المفتشان الجمع الذى احتشد فى المرفأ حول الفاجعة.

www.ibtesamah.com/vb

وقال « ميجريه » لـ « بايك » :

ـ لقد أدركت المسكينة أنه لا خطر على « دى جريف » الا من اعترافها .. وخافت أن تضعف ، فأرادت أن تؤمن حياته مضحية بحيـــاتها . ..

ـ لم يزل يوجد فى الحياة شىء اسمه الحب ..

ولم يستطيع « ميجريه » أن يقاوم ثورة فى اعماقه دفعت به الى قاعة البلدية .. وهناك لم يتردد .. شمر عن كمة وانهال بقبضة يده على وجه « فيليب دى موريكور » ..

لما سكن ثائره قليلا اعتذر عن سلوكه لزميلة الانجليزى قائلا :

ـ لابد أن تجد القذارة جزاء يتناسب معها ..

وأشار الى « ليشار » فوضع القيود الحديدية فى يدى الآثمين ، ونظر فى ساعته وقال لمستر « بايك » :

ـ لن أستطيع البقاء فى هذه الجزيرة ليلة أخـرى حتى لا أرى تلك المسكينة وهى تزف الى القبـر .. وهذين الحقـيرين ينعمان بأنفاس الحياة .. لابد أن نستقل باخرة الساعة الخامسة .. !

تمت

ahmad2006771
www.ibtesamah.com/vb
حصريات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamah.com/vb

www.ibtesamah.com/vb

روايات الهلال

مجلة شهرية للنشر القصصى العالمى

هذه الرواية

هذه الرواية من الادب البوليسى الراقى الذى يجمع بين الغاز الجريمة وبين التحليل النفسى لشخصيات ونماذج بشرية طريفة ، تحليلا يمتاز بالعمق والبساطة والوضوح

وقليلون من كتاب العالم هم الذين أفلحوا فى خلق هذا المزيج العجيب من عناصر التشويق والمعرفة ودقة الوصف بحيث لايدرى القارىء أيهما أمتع : هل هو غموض الجريمة وخفاء شخصية المجرم المجهول ، أم هو مفتش المباحث الذى لا يبدو عليه لاول وهلة سوى التخبط ، ولكن مايراه القارىء غامضا لامعنى له هو بعينه ما يحيله ذكاء مفتش المباحث الى أدلة واضحة وضوح الشمس فى الضحى . ومع هذا يزداد الغموض فى كل صفحة ، وتتشعب المسالك ، ولا ينجلى السر الا فى الصفحة الاخيرة ..

ومن أعظم كتاب هذا النوع الروائى العالمى ((جورج سيمنون)) وبطله فى هذه الرواية هو شخصية المفتش ((ميجريه)) التى تشابه فى الادب البوليسى الانجليزى شخصية شارلوك هولز التى أبدعها سيركونان دويل . ولكن المفتش ((ميجريه)) رجل يجمع بين ذكاء هولز ودقة ملاحظته ، بين صفات الفنان والفيلسوف الذى يقترب من القلب بخفة روحه وسمو انسانيته

* جورج سيمنون كاتب بلجيكى المولد ، فرنسى اللسان والقلم ، امريكى المهجر ، عالمى الوطن ، نالت رواياته شهرة عالمية

* يكتب الرواية البوليسية كأنواع ما كتبها المتخصصون ، ويكتب الرواية الوجدانية الواقعية كأنك تعيش مع أشخاصها فى صدق

* من أعظم رواياته العالمية التى رشح من أجلها لنيل جائزة نوبل ، الثلج الاسود ، فتاة فى ماضيه ، هذه المرأة لى ، أغلال الخطيئة ، اليه المجهولة ..

ahmad2006771
www.ibtesamah.com/vb
حصريات مجلة الإبتسامة

٨ قروش

www.ibtesamah.com/vb